الجزء ٨ المجلد ٥

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : آب سنة ١٩٢٥ م الموافق محرم وصفر سنة ١٣٤٤ هـ

شعراء الشام في القرن الثالث

— ٣ —

ابو تمّام الطائي

ابو تمّام حبيب بن أوس الطائي ولد بقرية جاسم من بلاد الجيدور من اعمال دمشق سنة (١٩٠) وخدم حائكاً وعمل عنده بدمشق وكان ابوه خمّاراً بها ، ورحل في حداثته الى مصر وكان يسقي الناس ماء بالجرة في المسجد الجامع بها ، ثم جالس الادباء فأخذ عنهم وتعلم وكان فطناً فهماً يحب الشعر فلم يزل يعانيه حتى أجاده ، ولكنه لم يحمد مقامه في مصر فإن له قصيدة يتشوق بها الى دمشق ويشكو تقتير الرزق عليه في مصر نروي منها هذه الأبيات .

سقى الرائح الغادي المُهجرُ بلدةً ... سقتني أنفاس الصبابة والخبلِ
فجاد دمشقاً كلها جودَ اهله ... بأنفسهم عند الكريهة والبذل
فلم يبق في ارض البقاعين بقعةً ... وجاد قرى الجولان بالمسبل الهطل
بنفسي ارض الشام لا أيمن الحمى ... ولا أيسر الدهنا ولا أوسط الرمل
عدتني عنكم مكرهاً غربة النوى ... لها وطرٌ ان تُمَرَّ ولا تحلي
أخمسة اعوام مضت لمغيبه ... وشهران بل يومان ثكل على ثكل
توانى وشيك النجح عنه ووكلت ... به عزمات أوقفته على رجل
قضى الدهر مني نحبه يوم قتله ... هواي بإرقال الغريرية الفتل

نأيت فلا مالاً حويت ولم أقم فأمنع اذا فجعت بالمال والأهل
بخلتُ على عرضي بما فيه صونه رجاء اجتناء الجود من شجر البخل
عصيت شبا حزمي لطاعة حيرة دعتني الى ان أفتح القفل بالقفل

ومن هذه الابيات يعرف ان مدة اقامته في مصر كانت خمس سنوات قضاها بالضنك ، ولم يسلم من عداوة شعراء مصر فقد ورد في ديوانه قصيدتان يهجو بهما يوسف السراج الشاعر المصري ، ومهما يكن فان اوليته في الادب كانت في مصر ومنها سار شعره وشاع ذكره وبلغ المعتصم خبره فحمله اليه وقدمه على شعراء وقته ، وجالس في بغداد الأدباء وعاشر العلماء وكانت بعد ذلك حياته القصيرة رحلة طويلة فقد رحل الى مكة حاجاً وله قصيدة في ذلك منها :

وقد أممت بيت الله نضواً على عيرانة حرف سعوم
أتيت القادسية وهي ترنو اليّ بعين شيطان رجيم
فما بلغت بنا عسفان حتى رنت بلحاظ لقمان الحكيم

وذهب الى خراسان مادحاً عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ، والى ارمينية مادحاً خالد بن يزيد ، والى بلاد الجبل مادحاً محمد بن الهيثم ، وزار نيسابور وأبرشهر والموصل وغيرها ، ولا أدلُّ على كثرة أسفاره من قوله :

ما اليوم اول توديعي ولا الثاني البين أكثر من شوقي واحزاني
دع الفراق فان الدهر ساعده فصار املك من روحي وجثماني
خليفة الخضر من يربع على وطن في بلدة فظهور العيس أوطاني
بالشام أهلي وبغداذ الهوى وانا بالرقمتين وبالفسطاط اخواني
وما اظن النوى ترضى بما صنعت حتى تشافه بي اقصى خراسان
خلّفت بالأفق الغربي لي سكناً قد كان عيشي به حلواً بحلوان

وقوله ايضاً :

سلي هل عمرت القفر وهي سباسبٌ وغادرت ربعي من ركابي سباسبا
وغرّبت حتى لم اجد ذكر مشرق وشرّقت حتى قد نسيت المغاربا

* * *

كان أبو تمّام موصوفاً بالظرف وحسن الاخلاق وكرم النفس من ذلك انه كان يرى الادب نسباً و يرى له حقاً واجب الرعاية قال :

وقرابة الآداب تقصر دونها عند الأديب قرابة الأرحام

وقال في علي بن الجهم الشاعر وقد أراد سفراً :

هي فرقة من صاحب لك ماجد فغداً إذابة كل دمع جامد
فافزع الى ذخر الشؤون وعذبه فالدمع يُذهب بعض جهد الجاهد
وإذا فقدت أخاً فلم تفقد له دمعاً ولا صبراً فلستَ بفاقد
أعلي ياابن الجهم إنك دفتَ لي سمّاً وجمراً في الزلال البارد
إن يكد مطّرف الاخاء فإننا نغدو ونسري في إخاء تالد
او يختلف ماء الوصال فماؤنا عذب تحدّر من غمام واحد
او يفترق نسب يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد

وقال : أيُّ شيءٍ يكون أحسن من صبٍّ أديبٍ متيمٍ بأديب

ومن ذلك قوله يصف سحابة ويمثل فرح الارض بها بفرحة الأديب بالأديب

لما بدت للارض من قريب تشوّقت لوبلها السكوب
تشوق المريض للطبيب وطرب المحب للحبيب
وفرحة الأديب بالأديب

وفي أخذه بضبع البحتري و إطرائه له وتقديره اياه احسن دليل على عطفه على الادباء وحبه لهم ، وهذا خلق يكبره الانسان اذا علم ان التحاسد اظهر مايكون بين الشعراء ·

* * *

وكان ابو تمّام يتولى علياً وآله عليهم السلام وله في ذلك قصيدة منها قوله :

فعلتم بابناء النبي ورهطه أفاعيل ادناها الخيانة والغدرُ
ومن قبله أخلفتمُ لوصيّه بداهية دهياء ليس لها قدر
أخوه اذا عدّ الفخار وصهره فلا مثله أخ ولا مثله صهر
ويوم الغدير استوضح الحقّ اهلهُ بفيحاء لافيها حجاب ولا ستر

أَقام رسول الله يدعوهم بها   ليقربهم عرف ويناّهم نكر
يمدّ بضبعيه ويعلم انه   ولي ومولاكم فهل لكم خبر
فكان لهم جهر باثبات حقه   وكان لهم في برهم حقه جهر
جعلت هواي الفاطميين زلفةً   الى خالقي مادمت او دام لي عمر
وكوّفني ديني على ان منصبي   شآم ونجري آيةً ذكر النجر

ولكنه مع ذلك اذا مدح بني العباس اثبت لهم من الحق في الخلافة ما ينفي معه حق علي واولاده منها كقوله من قصيدة في الواثق :

فرسان مملكة أُسود خلافة   ظلّ الهدى غابٌ لهم وعرين
قوم غدا الميراث مضروبًا لهم   سور عليه من القُران حصين
فيهم سكينة ربهم وكتابه   وإمامتاه واسمه المخزون

وكقوله من قصيدة في المعتصم :

فالأرض دار اقفرت مالم يكن   من هاشمٍ ربٌّ لتلك الدارِ
سور القران الغرّ فيكم أُنزلت   ولكم تصاغ محاسن الاشعار

وكقوله من قصيدة في الواثق :

ورث الخلافة عن اسنته التي   منعت حمى الآباء والاعمامِ
أخذ الخلافة بالوراثة أهلها   وبكل ماضي الشفرتين حسام
فلسورة الأنفال في ميراثه   آثارها ولسورة الانعام
لاقدح في عود الخلافة بعدما   مدّت اليك بحرمة وذمام
هيهات تلك قلادة الله التي   ما كان يتركها بغير نظام
إرث النبي وحجرة الملك التي   لم تخل من لهب بكم وضرام
مذخورة احرزتها بحكومة   لله تشدخ أرؤس الحكام
لسنا مريدي حجة نشفي بها   من ريبة سقماً من الاسقام
فالصبح مشهور بغير دلائل   من غيره ابتغت ولا أعلام

فبأي اقواله نأخذ لنعلم أشيعيًا متشدداً كان أم من غلاة النواصب ؟ ولكن اذا أمعنا في البحث وجدنا ان قصيدته في الامام علي قالها في مصر قبل ان يتصل بالخلفاء

كما يعلم ذلك من القصيدة نفسها ، فلما وفد على المعتصم كان لا يزال موالياً علياً فمدحه بقصيدة لم يسرف فيها بمدح آل العباس ولم يسلب آل البيت حقهم فقال منها:

آل النبي اذا ماظلمة طرقت كانوا لنا سرجاً انتم لها شعلُ [١]

ثم لما أغدق عليه الخلفاء إعطياتهم أباح لنفسه أن يقول بهم ماسمعت و يجعل الخلافة إرثاً وحقاً لهم نصَّ عليه القرآن وأُنزلت به براءة من الرحمن .

ولأبي تمَّام كما لغيره من الشعراء ضرائب واشكال من مثل ما سمعت فهو يقول في الافشين والمعتصمُ راضٍ عنه :

لم يقر هذا السيف هذا الصبر في هيجاء الا عزَّ هذا الدينُ
قد كان عذرة مغرب فافتضَّها بالسيف فحل المشرق الافشين
فسيشكر الاسلام ما أوليته والله عنه بالوفاء ضمين

ثم يقول لما قتله المعتصم وحرقه :

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الواري
ناراً يساور جسمه من حرها لهبٌ كما عصفرتَ شق إزار
صلى لها حيًّا وكان وقودها ميتاً و يدخلها مع الفجار
وكذاك اهل النار في الدنيا هم يوم القيامة جلُّ اهل النار

والذنب في مثل هذا الرياء يشترك به المادح والممدوح فان الخلفاء والملوك لم يرفعوا من قدر الشعر بمقدار ما وضعوا من اخلاق الشعراء .

* * *

قالوا وكان ابو تمام اسمر طويلاً فصيحاً حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة وفي ذلك يقول ابن المعذل او ابو العميثل :

يانبيَّ الله في الشعـــر ويا عيسى ابن مريمْ
انت من أشعر خلق الله ما لم تتكلم

(١) في تاريخ ابن عساكر : إن اول قصيدة مدح بها ابو تمَّام المعتصم القصيدة التي منها هذا البيت :

وقال صاحب الاغاني : وكان إنشاد ابي تمام قبيحاً وكان له غلام اسمه الفتح اشتراه بثلاثمائة دينار لينشد شعره وكان غلاماً اديباً فصيحاً ٠

وولى الحسن بن وهب ابا تمام بريد الموصل فاقام بها اقل من سنتين وتوفي بها سنة (٢٣١) قال البحتري : وبنى عليه أبو نهشل بن حميد الطوسي قبة ، وقال ابن خلكان : رأيت قبره بالموصل خارج باب الميدان على حافة الخندق والعامة تقول هذا قبر تمام الشاعر ٠ ورثاه الحسن بن وهب وابن الزيات وديك الجن والبحتري ٠

* * *

رزق ابو تمام شهرة في حياته وبعد مماته قل ما ظفر بمثلها شاعر فقد تولى زعامة الشعر فكان الشعراء يعرضون عليه اشعارهم كما عرض البحتري عليه شعره بحمص إقراراً بامامته واعترافاً بفضله ، وقد زعم بعضهم انه ما كان احد من الشعراء يقدر على ان يأخذ درهماً بالشعر في حياة ابي تمام فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه ٠ وظلّ المثل الاعلى لاكثر الشعراء اكثر من الف سنة يحتذون طريقته وينطبعون على غراره ولو اردنا ان ننقل ماقيل فيه من التقريظ والثناء لطال نفس الكلام واقلّ ذلك ان ابا تمام والبحتري والمتنبي هم الثلاثة المجمع على تقديمهم والمختلف في ايّهم اشعر ٠

لا نريد ان نروي آراء الناس في الرجل على علاّتها ولكن نحاول ان نعرف الأسباب التي أهّلته لتبوء هذه المنزلة ٠ الاسباب التي كوّنت عظمة ابي تمام ثلاثة على ما نظن : العلم ، والثقة بالنفس ، والاختراع ٠

أما علمه : فقد اتفق الرواة على انه كان له من المحفوظات مالا يلحقه فيه غيره ، قيل انه كان يحفظ اربع عشرة الف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع ، وقال هو عن نفسه : لم أنظم الشعر حتى حفظت سبعة عشر ديواناً للنساء خاصة دون الرجال ، والكتب التي جمعها تدل على سعة اطلاعه وهي : كتاب الحماسة الذي دلّ على غزارة فضله وإتقان معرفته وحسن اختياره ، وكتاب فحول الشعراء جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والاسلاميين ، وكتاب الاختيار من أشعار القبائل ٠ ولم يكن علمه محصوراً في الشعر وانما كان مضطلعاً بعلوم العربية حتى ذكره الانباري في طبقات الادباء النحاة دون غيره من الشعراء الذين عاصروه ٠

وفي تاريخ ابن عساكر : انه حدّث عن صهيب بن ابي الصهباء الشاعر والعطاف ابن هرون وكرامة بن ابان العدوي وابي عبدالرحمن الاموي وسلامة بن جابر الهندي ومحمد بن خالد الشيباني وروى عنه خالد بن شريد الشاعر والوليد بن عبادة البحتري ومحمد بن ابراهيم بن عتاب والعبدوي البغدادي ٠

وانت اذا نظرت في ديوانه رأيت أثر العلم بادياً فيه كإيراد امثال العرب [١] وذكر قبائلهم وأيامهم ووقائعهم وأبطالهم وفرسانهم واجوادهم وحكمائهم وشعرائهم وكالالماع الى تاريخ الفرس [٢] ولا تعدم في الديوان العثور على الإشارات النحوية [٣] والاصطلاحات العلمية كالخصوص والعموم [٤] وسيرد في معانيه المخترعة مسألة من مسائل الدور في الفقه ٠

وقال ابو عبد الله الرقي : رأيت من ابي تمّام رجلاً عقله وعلمه فوق شعره، وقال الآمدي : كان ابو تمّام مشهوداً له بالعلم والشعر والرواية وان العلم في شعره أظهر وانه أتى في شعره بمعان فلسفية ٠

واما ثقته بنفسه : فقد كان يرى ان المتأخر يدرك شأو المتقدم وان الشعر صوب العقول فكما ان العقل لم يقصر على زمن دون زمن فكذلك الشعر قال :

يقول من تقرع أسماعه كم ترك الاول للآخر

وقال : فلو كان يفني الشعر أفناه ماقرت حياضك منه في العصور الذواهب

ولكنه صوب العقول اذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب

وربما قادته هذه الثقة الى الإعجاب الشديد بنفسه قال ابو هلال العسكري : كان البحتري يلقي من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به فخرج شعره مهذباً وكان ابو تمّام لايفعل هذا الفعل وكان يرضى بأول خاطر فنعي عليه عيب كثير ٠ وقال

---

(١) كقوله : الا ويل الشجي من الخلي وبالي الربع من احدى بلي

(٢) كقوله : بل كان كالضحاك في سطواته بالعالمين وانت أفريذونُ

(٣) كقوله : خرقاء يلعب بالعقول حبابها كتلاعب الافعال بالاسماء

(٤) كقوله : لن ينال العلى خصوصاً من الفتـ ـيان من لم يكن نداه عموما

صاحب الاغاني : روي عن بعض الشعراء ان اباتمام انشده قصيدة له احسن في جميعها لا في بيت واحد ، فقال له : يا أباتمام لوالقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب ، فقال له : انا والله اعلم منه مثل ماتعلم ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل اولاده فيهم الجميل والقبيح والرشيد والسافط وكلهم حلو في نفسه فهو وان أحب الفاضل لم يبغض الناقص وان هوي بقاء المتقدّم لم يهو موت المتأخر . وقال له رجل لم لا تقول من الشعر ما يُفهم ؟ فقال له وأنت لم لا تفهم من الشعر ما يُقال ؟

وهو بعد يرى نفسه أشعر الثقلين قال يخاطب ناقته في حجة حجّها :

أقول لها وقد أوحت بعين إليّ تشكّيَ الدنف السقيم
بكورك أشعر الثقلين طرّاً وأوفى الناس في حسب صميم

واما اختراعه : فقد عدّه صاحب العمدة اكثر الشعراء المولدين اختراعاً فقال : اكثر المولدين معاني وتوليداً فيما ذكره العلماء ابو تمام ، وقال في موضع آخر : اكثر المولّدين اختراعاً وتوليداً فيما يقول الحذاق ابو تمام وابن الرومي ، وكان ابن الرومي يقول : ابوتمام يطلب المعنى ولا يبالي باللفظ حتى لو تمّ له المعنى بلفظة نبطية لاتى بها ، وسئل البحتري عن نفسه وعن ابي تمام فقال : كان اغوص على المعاني وانا أقوم بعمود الشعر .

وقال الآمدي : وجدت اهل البصرة من أصحاب البحتري ومن يقدّم مطبوع الشعر دون متكلّفه لا يدفعون اباتمام عن لطيف المعاني ودقيقها والإبداع والإغراب والاستنباط لها ، وان اهتمامه بمعانيه اكثر من اهتمامه بتقويم الفاظه على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة وانه اذا لاح له معنى اخرجه باي لفظ استوى من ضعيف او قوي .

وقال صاحب الاغاني : ابوتمام لطيف الفطنة دقيق المعاني ، غواص على مايستصعب منها ويعسر متناوله على غيره .

وقال صاحب المثل السائر : قد قيل ان اباتمام اكثر الشعراء المتأخرين ابتداعاً للمعاني وقد عددت معانيه المبتدعة فوجدت ما يزيد على عشرين معنى فمن ذلك قوله :

يا ايها الملك النائي . برؤيته ... وجوده لمراعي جوده كثبُ
ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي املاً ... إن السماء ترجى حين تحتجب

وقوله : رأينا الجود فيك وما عرضنا ... لمستجلٍ منه بعد ولا ذنوب
ولكن دارة القمر استتمت ... فدلتنا على مطر قريب (١)

وقوله : واذا اراد الله نشر فضيلةٍ ... طويت اتاح لها لسان حسودِ
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

وقوله : لا تنكروا ضربي له من دونهُ ... مثلاً شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس

وقوله : لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي

وقوله في الشيب :

شعلة في المفارق استودعتني ... في صميم الفؤاد ثكلا صميماً
يستثير الهموم ما اكتن منها ... صعداً وهي تستثير الهموما

قال ابن الأثير : فالبيت الثاني من المعاني المخترعة وقد نفقّه فيه فجعله مسألة من مسائل الدور وهذا من إغراب ابي تمام المعروف وهذا القدر كاف من جملة معانيه فانا لم نستقصها ههنا ٠

وذكر صاحب العمدة من معانيه المخترعة قوله :

بني مالك قد نبهت خامل الثرى ... قبورٌ لكم مستشرفات المعالم
غوامض قيد الكف من متناول ... وفيها علاً لا يرتقى بالسلالم

وقوله : يأبى على التصريد الا نائلاً ... ان لم يكن محضاً قراحاً يمذقِ
نزراً كما استكرهت عائر نفحة ... من فأرة المسك التي لم تفتق

* * *

كان ابو تمام مع غزارة علمه وثقته بنفسه وقوة اختراعه نسيج وحده في جزالة الالفاظ وشدة أسر الشعر وحسن الديباجة وكرمها يؤثر الصنعة كثيراً وهو صاحب

(١) نقل بعد هذين البيتين بيتين لم نستحسن نقلهما ٠

مذهب في البديع عرف به وان كان غيره سبقه اليه وقال القليل منه ولكن ابا تمام التزمه في كل شعره وجعله ركن الشعر وعموده ومن أجله حجر على نفسه واسعاً وألزمها مالا يلزم ٠

ومن عجيب ولعه بالصنعة انه اقام شطر بيت فيه طباق حسن مقام النسب ، قال الفتح غلام ابي تمام ، سألت مولاي اباتمام عن نسب دعبل فقال هو دعبل بن علي الذي يقول ٠

« ضحك المشيب برأسه فبكى »

يحاول ابو تمام ان يطبق مذهبه في البديع على كل بيت من شعره بل على كل كلمة وفي ذلك من الاخذ بالشدة مالا مزيد عليه ، سمعه اسحق الموصلي ينشد شعراً له فقال له : « ياهذا لقد شققت على نفسك ان الشعر لاقرب مما تظن » ٠

وما اعجب لشيء كعجبي لهذا الرجل كيف تمكن من الاجادة مع هذا الاستقصاء في البديع فهو كمن يريد ان يبني هرماً من ارجل النمل او ينقش صورة الاقاليم على فص خاتم ٠

واعجب من ذلك ان هذه العناية باللفظ لم تصرفه عن العناية بالمعنى فقد كان يغوص على المستصعب منه كما مر بك ٠

بلغ ابو تمام ذروة الشعر ولكن سلك اليها طريقاً وعراً صعب المسالك ما سلكه احد من الشعراء بعده و بلغ مبلغه ، ولقد احسن المتنبي لما أعجزه هذا الطريق فتحول عنه الى غيره فأتى بما ملأ الدنيا وشغل الناس ٠

ولو لم يكن البحتري سيد المطبوعين على قول الشعر لما حدثته نفسه بتحدي ابي تمام على انه وان مال الى الصنعة في شعره فالطبع فيه أبين وأظهر ٠

نعم انا لا أنكر ان ابا تمام صاحب مذهب في الشعر ولكن مذهبه على إحكامه شاق يعجز أتباعه عن اتباع قواعده واحكامه كما سنّت ، فصاحبه اشبه بناسك غلا في الزهد والتقشف والاخذ بالعزائم فأكبره مريدوه ولكنهم عجزوا عن مجاراته فانصرف عنه بعضهم واكثر من بقي حوله كان زهده رياء ونفاقاً وكذلك حال الشعراء بعد ابي تمام ٠

ولا عجب اذا تعب ابو تمام في شعره ووجد شدة في قرضه — ومذهبه في اللفظ وغوصه على المعنى كما علمت — فقد روي عنه انه كان فيه ابطاء بقول الشعر ، وقال صاحب العمدة : كان ابو تمام يكره نفسه على العمل حتى يظهر ذلك في شعره ، وحكى بعض اصحاب ابي تمام قال استأذنت عليه فدخلت في بيت مصهرج قد غسل بالماء فوجدته يتقلب يميناً وشمالاً ، فقلت لقد بلغ بك الحر مبلغاً شديداً ، قال لا ولكن غيره ومكث كذلك ساعة ثم قام كأنما أطلق من عقال فقال الآن أردت ثم استمد وكتب شيئاً لا أعرفه ، ثم قال أتدري ما كنت فيه منذ الآن قلت كلا قال قول ابي نواس :

«كالدهر فيه شراسة وليانُ »

أردت معناه فشمس عليّ حتى أمكن الله منه فصنعت :

شرست بل لنت بل قانيت ذاك بذا فأنت لا شك فيك السهل والجبلُ

قال صاحب العمدة : ولعمري لو سكت هذا الحاكي لنمّ هذا البيت بما كان داخل البيت لان الكلفة فيه ظاهرة والتعمل بيّن .

ولابي تمام فصل في قرض الشعر ينم على شدة اهتمامه ومبلغ تدوقه ، قال البحتري : كنت في حداثتي اروم الشعر وكنت ارجع فيه الى طبع ولم أكن اقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه حتى قصدت ابا تمام فانقطعت فيه اليه واتكلت في تعريفه عليه ، فكان اول ما قال لي : يا ابا عبادة ! تخير الاوقات وأنت قليل الهموم صفر من الهموم واعلم ان العادة في الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء او حفظه في وقت السحر وذلك ان النفس قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم ، فان اردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً وأكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق ، واذا اخذت في مدح سيد ذي اياد فأشهر مناقبه وأظهر مناسبه وأبن معالمه وشرّف مقامه ، وتقاض المعاني واحذر المجهول منها ، وإياك ان تشين شعرك بالالفاظ الزرية ، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين ، وجملة الحال ان تعتبر

شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسنته العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى ٠

زعم صاحب الاغاني ان ابا تمام شاعر مطبوع ولعل لديه دليلاً على ذلك لم نهتد اليه ، فابو تمام على ما نعلم لا يجوز ان يعد مع المطبوعين كجرير وابي نواس وأشجع السلمي والبحتري وهبه مطبوعاً فان الحدود التي اخذ بها نفسه كفيلة بتعطيل قوة الطبع واخفاء أثره ، فانت اذا استعرضت شعره لم تجد اثر الطبع شائعاً فيه بل وجدت عناء الصانع المستقصي الذي يجهد نفسه كثيراً لينال غاية الاحسان ٠ ولعل صاحب الاغاني يعني بالطبع المقدرة على اجادة الشعر سواء أتكلف الشاعر ام لم يتكلف ٠

كانت روايته الواسعة لأشعار العرب تحمله على إيثار الجزالة في اللفظ ، وكانت ثقته بنفسه تخوله الامعان في فنون البديع والتوسع في الاستعارة على غير مناهج العرب حتى قيل ان شعره استعارة وبديع ، قال صاحب الوساطة :

« كانت الشعراء تجري على نهج من الاستعارة قريب من الاقتصاد حتى استرسل فيه ابو تمام ومال الى الرخصة فاخرجه الى التعدي وتبعه اكثر المحدثين بعده فوقفوا عند مراتبهم من الاحسان والاساءة والتقصير والاصابة »٠

قالوا ومن رديء الاستعارة قوله :

« حتى القته بكيمياء السؤدد »

وقوله : كلوا الصبر مرّاً واشربوه فانكم أثرتم بعير الظلم والظلم باركُ

نحن لا ندرأ هذا وكثيراً مثله عن ابي تمام كما اننا نعترف بان له من الجيّد ما لا يتعلق به غيره ، ولكننا نرى ان المركب الصعب الذي ركبه كثيراً ما مال به الى التعقيد والتوعير والغموض والخروج عن المألوف فلقد سمع أعرابي قصيدته التي أولها :

« طلل الجميع لقد عفوتَ حميدا »

فقال ان في هذه القصيدة اشياء افهمها واشياء لا افهمها فإما ان يكون قائلها أشعر الناس واما أن يكون جميع الناس أشعر منه ٠

لا جدال في ان ابا تمام كان يؤثر الصنعة اللفظية وهو القائل :

« يروقك بيت الشعر حين يُصرَّع »

ولكن الذي جعله يغلو بها هو روح العصر السائدة إذ ذاك ، فقد كان الشعراء يتهافتون على الصنعة ولا تواتيهم كما تواتي ابا تمام ، جاء دعبل الشاعر الى الحسن بن وهب بعد موت أبي تمام فقال له رجل في المجلس انت الذي تطعن على من يقول :

وانجدتمُ من بعد إتهام داركم ... فيا دمع انجدني على ساكني نجدِ

فصاح دعبل أحسنَ والله وجعل يردد (فيا دمع انجدني على ساكني نجد) ثم قال : رحمه الله لو كان ترك لي شيئًا من شعره لقلت انه اشعر الناس . ودعبل هذا كان يثلب ابا تمام و يقول انه مسروق للشعر ، فانظر ما فعل به الجناس و كيف استلّ سخيمته واطلق لسانه بترديده ، ولو قال ابو تمام « فيادمع ساعدني على ساكني نجد » أتظن دعبلاً يصيح بغير الشتيمة ؟

* * *

واحسن شعر أبي تمام ما كان في الرثاء وله في المديح آيات ، سئل البحتري عنه فقال : مدّاحة نوّاحة . ومن مراثيه قوله يرثي ابنين صغيرين لعبد الله بن طاهر :

نجمان شاء الله ان لا يطلعا ... الا ارتداد الطرف حتى يأفلا
ان الفجيعة بالرياض نواضراً ... لأَجلُّ منها بالرياض ذوابلا
لهفي على تلك الشواهد فيهما ... لو أُمهلت حتى تكون شمائلا
لغدا سكونهما حجىً وصباهما ... حلماً وتلك الاريحية نائلا
ان الهلال اذا رأيت نموّه ... أيقنت ان سيكون بدراً كاملا

وقصائده في هذا الباب مشهورة منها التي أولها :

اصمّ بك الناعي وان كان أسمعا ... واصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

والتي مطلعها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذرُ

وقال في اخ له قد حضر وفاته :

لله مقلته والموت يكسرها ... كأن اجفانه سكرى من الوسنِ
يردُّ أنفاسه كرهاً وتعطفها ... يد المنية عطف الريح للغصن
ياهول ما ابصرت عيني وماسمعت ... أذني فلا ابصرت عيني ولا اذني

لم يبق من بدني جزء علمت به الا وقد حله جزء من الحزن

فانت تحس في رثائه نفساً تسيل اسى وتجيد التفجع ، ولقد يرثي من لا تعطفه عليه عواطف الحنان فيبكيك ويشجيك كالثكلى حين تندب وحيدها ، فتسائل نفسك اكان ابو تمام صادقاً في كل مراثيه وهل حزن حقيقة على كل من رثاه ؟ وانا أجيب كلاً فربما رثى من كانت حياته وموته عنده سيان ، ولكن ابا تمام من اولئك الناس الذين صحب الحزن نفوسهم وأُشرب قلوبهم فقد كان يتخذ من موت الميت سبباً ليعرب عن احزان نفسه ، و ينفث بعض ما يعتلج في صدره من البث ، و يصور منظراً من كآبته — لا على الميت فان ذلك كائن قبل موته — وقد يلتوي فهم ذلك الا على من بلاه او ابتلي به . واية نفس تشعر بالشجى اكثر من نفس ابي تمام وهو القائل وقد سمع مغنية تغني بالفارسية :

ولم افهم معانيها ولكن ورت كبدي فلم أجهل شجاها

واما مديحه فليس ذلك المبتذل المعاد الذي اعتاد اكثر الشعراء ترديده فان له في هذا الباب معاني طريفة نادرة كقوله :

فلو صورت نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطباع

وقوله : هو البحر من اي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله

تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

وقوله : لو انا اجماعنا في وصف سؤدده في الدين لم يختلف في الامة اثنان

ولم يقصر في الأدب والحكمة فكثير من شعره جرى مجرى الامثال كقوله :

اولى البرية حقاً ان تراعيه عند السرور الذي آساك في الحزن

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

وقوله : وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد

فاني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

وقوله : ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ويكدي الفتى في دهره وهو عالم

لو كانت الأرزاق تجري على الحجى هلكن اذن من جهلهن البهائم

ومثل ذلك كثير في شعره لا محل لاستقصائه هنا ٠

اما غزله فهو اعجب ما في شعره وهو في نظرنا يقسم الى قسمين : قسم صدّر به قصائده وجعله توطئة لاغراضه كالمديح والفخر والوصف على طريقة العرب وهوغزل مصنوع متكلف وعر الألفاظ لاتهش له النفس ، وقسم لم يجعله توطئة لشيء بل هو غزل خالص ، ولم يرسل نفسه على سجيتها في كل شعره كما ارسلها في هذا القسم فلا تكاد تجد به اثراً للجزالة والمتانة بل هو سهل لين ولكنه والحق يقال لايلتئم باجزاء النفس كقوله :

زفراتٌ مقلقاتٌ اسعدتها العبرات
وعويل من غليل اضرمته الحسرات
ونحيبٌ ووجيبٌ ودموع مسبلات
وتباريح اشتياقٍ وهمومٌ طارقات
وفؤادٌ مستهامٌ جنته الوجنات
وفتور من فتورٍ اورثته اللحظات
وحبيب صدّ لما كثرت فيه الوشاة

وهو اذا اراد ان يستعطف حبيبه او يستلين قلبه او يناديه لم يجد وسيلة غير الانبياء فقد قال :

ياسميّ الذي تبهل يدعو ربه مخلصاً له في قل أوحي
ومكنّى نتوق نفسي اليه بالرسول الكريم بعد المسيح
افصح اليوم ناظرا مستهام نطقا عن ضمير قلب قريح

وقال : ياسميّ النبي في سورة الجن ويا ثاني العزيز بمصر

وقال ايضاً : ياسميّ النبي حين يسمى والذي خص بالجمال وعما

واذا ترفع عن مثل هذا السفساف قال :

قسمت لي وقاسمتني بسلطا نٍ من السحر مقلتا عبدوس
فالقسيم القسام عن لحظات منها يختلسن حب النفوس
فالذي قاسمت بحظ اذا الليل تمطّى من الكرى المنفوس

قال علي بن عبد العزيز الجرجاني : « ولست أدري يشهد الله كيف تصور له ان يتغزل و ينسب وأي حبيب يستعطف بالفلسفة و كيف يتسع قلب عبدوس هذا وهو غلام غر وحدث مترف لاستخراج العويص واظهار المعمى » ·

فاين ذاك النمط الذي تراه في قصيدته التي أولها :

« السيف اصدق انباء من الكتب »

من هذه السخافة لدالة على ان اباتمام لم يعشق ولم يعرف الحب والذي قاله من الغزل لم يكن الباعث عليه الا قليل من المجون الجاف كقوله :

خمشتني بكفها وأشارت بطرفها
فتأملت وجهها والتقتني بكفها
ليت نصفي على الفرا — ش لحاف لنصفها
فأنال الذي أريد — على رغم انفها

وفي الاغاني قصة مجونية وقعت بين ابي تمام و بين الحسن بن وهب قال بها ابو تمام قصيدة اولها :

ابا عليٍّ لصرف الدهر والغير ولحوادث والايام والعبرِ

وشعره في الوصف والفخر والهجاء خير من شعره في الغزل ·

ومن الكتب المؤلفة في شعر ابي تمام واخباره : كتاب الموازنة للآمدي وكتاب الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه ابا تمام له ايضاً ، وكتاب تفسير شعر ابي تمام لمحمد بن احمد الازهري المتوفى سنة ٣٧٠ ، وكتاب اخبار ابي تمام والمختار من شعره لعلي بن محمد الشمشاطي من أدباء القرن الرابع ، وكتاب شرح شعر ابي تمام لأبي الريحان البيروني لم يتمه · ذكر ذلك ياقوت الرومي في معجم الأدباء عند ترجمة كلٍّ من أصحاب هذه الكتب ، ولم يطبع منها غير كتاب الموازنة · ولأبي العلاء المعري كتاب سماه ذكرى حبيب شرح به ديوان ابي تمام ، ولابي بكر الصولي كتاب في اخبار ابي تمام ·

« للبحث صلة » : خليل مردم بك

——>ooo<——

بين التاريخ والادب

الحضارة العباسية واثرها في لغة العرب

الحضارة في الاصل سكنى الحضر كما ان البداوة سكنى البادية ، والغرض منها هنا حالة الأمة الاجتماعية ورقيها واخذها من المدنية بنصيب ·

مقدمة

امتد الفتح العربي منذ عهد الخلفاء الراشدين ومكن الله للعرب في الارض ما لم يمكن لغيرهم ، وسطعت شموسها في البلاد التي شاء الله ان تشرق فيها · ولكن القوم شغلهم اذ ذاك ما هم فيه عن الانغماس في ذلك الترف والنعيم والإيغال في تلك المدنية والحضارة ولم يجنوا لانفسهم فيها الا ما لا يعوقهم عن نشر دعوتهم وجهاد من يصدهم عن سبيلها · فقد كان القوم يبتغون فيما آتاهم الله الدار الآخرة ولا ينسون نصيبهم من الدنيا ·

ثم اقتفى آثارهم في ذلك بنو أمية وهم السادة الغُر من بني عبد شمس ، فما كاد عصرهم ينقضي حتى كانت العرب قد فتحت اكثر المعروف من الدنيا القديمة فامتد ملكهم من الهند والصين شرقاً الى جبال البرانس فنهر الرون غرباً ، وانبسط سلطانهم على تلك الشعوب ، لارغبة في الاستعمار والاستعباد ولكن حباً في نشر دين يعتقدون حقيقته وتعلقاً بمبادئ الاسلام التي رفعت لاوروبا الحديثة مجدها الخلقي ، وتغلبت لغتهم على ما كان لهم من السنة لانها اللغة الراقية للأمة الغالبة العادلة فعُني بها اهل تلك البلاد تقرباً من الفاتح واستدراراً لاخلاف الرزق وتفقهاً في الدين والتماساً لطلب العلم والأدب ·

وكان دأب بني أمية في ذلك الحرص على أخلاقهم العربية وعاداتهم القومية — شأن الفاتح الظافر — فكانوا شديدي التمسك بلغة العرب وآدابها وجعلوا حاضرتهم مدينة دمشق على حدود البادية العربية وكان ولاتها وجنودها وقوادها وكتابها وسائر عمالها من العرب الا من مست الحاجة اليه لميزة فيه ينبغي الانتفاع بها ، فلم تؤثر الحضارة

الاجنبية ايام خلافتهم في اللغة العربية وآدابها الا ما اقتضاه الملك وسعة العمران وما التأم مع الاخلاق العربية واقتضته مرافق حياتهم المتصلة بالحضارة اتصالاً لا يضيع معه الطابع العربي ، فظلت الدولة وبلادها ولغتها وآدابها عربي الصبغة في كل شيء .

وما كاد القرن الاول ينتهي حتى كانت الليالي من الزمان مثقلات بما كانت الامة العربية في استعداد له وتأهب لقبوله من تغير الحال ومجاراة الزمان ، فكانت امارات ذلك تبدو شيئاً فشيئاً حتى اذا أقبل العقد الرابع من القرن الثاني كشفت الايام عن انقضاء عصر بني أمية وتغلب بني العباس فكان ذلك مبدأ حياة جديدة للغة العربية وفنونها ، وهذا ما نريد الكلام فيه .

قيام الدولة العباسية

قامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية وبزغ هلالهم في سماء المملكة العربية على حين كانت ألويتهم خفاقة على كثير من البلاد والشعوب وملكهم واسع الرقعة مبسوط الارجاء ، تجبى اليهم ثمرات كل شيء فكانوا أولي قوة وأولي بأس شديد تهابهم الأمم وتخطب ودهم الممالك . والعرب مبثوثون في الارض ولغتهم معهم فورثوا نعيماً وملكاً كبيراً ، وقد استراحوا من الفتح فجنوا شهد الراحة آمنين وتمتعوا بثمرات الفتح وادعين .

الاحوال المعاشية وابهة الدولة والترف

ولم يفرط سلف العباسيين زمن البذر فقرت أعينهم حين الجنى وآن لهم ان يقطفوا هذه الثمار اليانعة الدانية القطاف ، وان يرفلوا في حلل هذه النعمة الضافية الذيول السابغة الاعطاف فجنحوا الى الدعة وأطلقوا لانفسهم العنان في التمتع بما حل لهم من زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، وجاروا الامم التي اختلطوا بها وظهروا أمامهم مظهراً يليق بهم ويقتضيه زمانهم ولا سيما الفرس عضد الدولة العباسية ونصيرها ومن لهم الدالة عليها وهم أمة قديمة الحضارة راسخة القدم في المدنية فانتقلت العرب من المعيشة البدوية الى الحياة الحضرية وكانت على أتمها في قطر العراق موطن المجد

العربي ، ولا سيما بعد ان بنى المنصور مدينة بغداد وجعلها حاضرة ملكه فكانت صلة بين العرب والفرس ومعبراً بين البداوة والحضارة ، وان الانسان ليكبر بلوغ النعيم من أهلها بما كان من توفر ارباب الغايات عندهم والعارفين بالفنون التي لا تقتصر الحاجة منها على ضرورة العمران وانما تتوسع المنفعة منها الى مطالب الترف الذي يقع في الامم عند استفحال ملكهم فصارت بغداد بيضة الملك ومعدن الطرائف وزينة العالم بما كان لاهلها من اتساع الحضارة وما كان يرى في مبانيها من الاشراق الذي نزه ان يكون له مثيل في الحسن المشرق والجمال المونق فتبسط اهلها في النعيم واسترسلوا في الرخاء وبنوا القصور المشيدة مدّ البصر وجلاء النظر ، وان شئت ان احدثك عن تلك القصور فدونك شعرهم تراها موصوفة فيه بلفظ دقيق ومعنى رشيق يجعلها تحت بصرك وقد كنفتها الحدائق الغناء والرياض الفيحاء تجوس المياه خلالها وتجري حولها مدبرة في الاحواض وتسرح في اكنافها الطيور الداجنة وانواع الحيوان الآلفة من جميل الريش ورخيم الصوت ، هذه نعيم اسبغتها الحضارة عليهم ظهرت جلية في شعرهم وغنائهم وفنونهم الجميلة ٠

وكذلك قد تنعموا بما لذّ وطاب من انواع المطاعم ورفلوا في البديع من حلل الملابس فلبسوا الخز والديباج واستبدلوا بالعباءة الغلائلَ والمطارف ، وبالمضارب التي فرشها الرمال قاعات فرشها البسط والطنافس وعلى جدرانها الستائر من الحرير بمسامير الفضة على طراز الذهب ٠ وباروا مَن عاشروهم من الفرس في وسائل اللهو المباح وجاروا سنة الارتقاء قاصدين القصدَ لا مُفرّطين ولا مُفْرِطين فاخذوا انفسهم بالحزم في كل ذلك فجمعوا بين الدين والدنيا ٠

ولقد توفرت امام اعينهم المناظر الحسنة والمرائي البديعة مما لم يكن لهم به عهد من قبل فاتسع مجال الشعر عندهم بما كانت تثيره مناظر الجمال في نفوس شعرائهم ٠ وكانوا يعنون بغرس الزهور وتربيتها وكانوا يجلبون الرياحين الى حدائقهم من بلاد الهند وغيرها حتى قيل انه كان في بغداد للامراء من البساتين ما يقوم ثمن الواحد منها باكثر من عشرة آلاف دينار !

وانا لو انصفناهم لقلنا انهم كانوا ينشئون متنزهات عامة تلجأ اليها اولادهم وترتع

فيها صبيانهم بعد الفراغ من الكد والدرس وفي بعض هذه المتنزهات يقول شاعرهم وقد صبا اليها وعطفته الذكرى عليها :

سقى الله باب الكرخ من متنزه الى قصر وضاح فبركة زلزل

هذا هو شأن الترف عند عظماء الدولة وخواص الأمة ثم يأخذ في النقصان عند من هم دونهم في الجاه الى ان يبقى منه نصيب للعامة الذين راجت بينهم الصناعات وتوسعوا في التماس الحاجات لضرورة العمران ·

من ذلك نرى ان مرافق الحياة عندهم اتسعت وان مقاصدها تعددت ، وان الوانها تبدلت واشكالها تغيرت فكان لذلك كله تأثير بين في اللغة وآدابها فصبغت صبغة جديدة و برزت تختال في ثوب قشيب من الجدّة وحسن الرونق وزاد ذلك الاثر حسناً اسباب أُخرى منها :

حدة اللغة واسبابها في العصر العباسي

اولاً — امتزاج العرب بالفرس واختلاطهم بغير العناصر العربية اختلاطاً شديداً اثر في احوالهم الاجتماعية وامورهم الحيوية من الاخلاق والعادات والافكار والخيال وسائر الشؤون مع تمكن الفرس من الدولة وانبساط ايديهم في امور الخلافة ونفوذ كلمتهم في شؤونها فكان ذلك عاملاً على انتفاع اللغة العربية باهل هذا اللسان فكراً وخيالاً وحسناً وفراهة ودخل في اللغة العربية ما وسعته من اساليب تلك اللغات التي لا تنبو عن الذوق العربي كثيراً ·

ثانياً — رقي احوال الامة الاجتماعية ولا يعزب عن البال ان الاحوال الاجتماعية للامم هي الاساس الذي تشاد فوقه لغاتها فان كانت الحال الاجتماعية في أُمة راقية جامعة لاسباب الحضارة قائمة بحاجات الحياة من انتشار دين وعلم واستتباب طمأنينة وامن ، وسهولة مرافق حياة ، وموارد رزق ، وحسن نظام ، وما يتبع ذلك من ترتيب الحكومات وتدبير الزراعات ووفرة الصناعات ونماء الثروة وتمكن مكارم الاخلاق — اذا تم كل ذلك في الامة رقيت لغتها وشرف لسانها وعذبت معانيها وغزرت مادتها وتشعبت الفنون ونبغ فيها الفحول من امراء الكلام نثراً ونظماً والضليعون في سائر فنون العلم

معقولة ومنقولة ، كذلك كانت الدولة العباسية اذ العهد قريب بالنبوة وصدر الخلافة والدين غض الشباب والقرآن محفوظ في الصدور مفهوم في العقول معمول بحكمه واحكامه وهو المرجع في امور الدين والدنيا فكانت قوانينهم شرعية ومدنية وجنائية متفرعة منه مسترشدة بالاحاديث النبوية وكانت العقول حرة والافهام مطلقة وباب الاجتهاد مفتوحاً والعلم شعار الملوك ومطمح انظار السادة والعظماء فالمنصور والمهدي والرشيد والمأمون وهم صدور خلفاء الدولة علماء محققون وأئمة مجتهدون من طبقة الامام ابي حنيفة ومالك واضرابهما واذا كان هذا شأن الخلفاء والعظماء والخاصة في الدين والعلم واللغة والادب فما ظنك بمن دونهم من الرعية ؟ لاريب انهم كانوا على دين ملوكهم · وارادة الملك شريعة المملكة ولا يزهو العلم ويثمر الادب الا في ظل امير يتعاهده ويشد ازر اهله ، فالدولة التي يكون ملوكها وامراؤها كذلك يجدر بها ان تزهو بالعلم والعلماء وتتيه عجباً بالادب والادباء ولهذا وجد يومئذ كثير من الاخصائيين في كل فن جميل ·

ثالثاً — الاستعداد الفطري العظيم لهذه الامة المجيدة وقد زادته تلك الحضارة واظهرته في تمامه وساعد على ذلك سعة اللغة وقبولها لكل جديد لكثرة عوامل النماء فيها ولتنوع اشتقاقها وتفرع اصولها وكثرة طرق التعبير عن المقصود فيها ولهذا سهل على الناطقين بها الافتنان في ضروب المنطق من منثور ومنظوم — حتى ان الكاتب ليستطيع ان يملأ صفحات عدة في معنى واحد محصور — وتمويتها بالمحسنات البديعة والحلى اللفظية والمعنوية وتصرفوا في ذلك تصرفاً يشهد للغة برحب الصدر ولاهلها بحسن الذوق ·

رابعاً — تدوين الفنون واشتغالهم بالتأليف وترجمة الكتب الاجنبية الى اللغة العربية والاطلاع على آثار الاقدمين من فلاسفة اليونان وغيرهم فكانت اثراً صالحاً اقتبسوا منه افكاراً حكيمة عجيبة وآراء سديدة غريبة ومعاني رقيقة بديعة صيغت لها مبان رقيقة لطيفة ، استخدموا كل ذلك في كلامهم واودعوه عباراتهم وافتنوا في هذه المعاني المكتسبة افتناناً غريباً ، وتلاعبوا بها ما شاء لهم الخيال وقوة القريحة فاتسع بذلك نطاق الفكر ونمت دارة المعارف وعظمت قوة الخيال والابتداع ·

* * *

آثار الحضارة العباسية في اللغة

ولقد كان تأثير هذه الحضارة — التي سبق ذكرها — بيناً في اللغة ، فتناول : اغراضها ومعانيها والفاظها واساليبها نثرها ونظمها .

اما اغراض اللغة فلم تكن تتناول قبل ذلك سوى مايتعلق «بالدين ومعيشة الجد القليلة الترف» وماله ارتباط بالحيـاة ذات الغضاضة والبداوة لاستقلالها بالآداب العربية وما يدعو اليها و يتعلق منها بسبب ، فلما قامت الدولة العباسية ووجدت تلك الحضارة الحديثة وتشبه الخلفاء والامراء والولاة والرؤساء بملوك الفرس وعظمائهم في اكثر امور السياسة والمعيشة وحاكتهم العامة في ذلك بمحاكاة امثالهم من الاعاجم وامتزجت المدنية السامية العربية بالمدنية الآرية الفارسية تمام الامتزاج تناولت اللغة اغراضاً كثيرة لم تعهد فيها من قبل بنقل علوم الامم المغلوبة وآدابها وعاداتها وطرق معيشتها وبتدوين العلوم الشرعية واللسانية والعقلية و بالترجمة من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية وبتأدية المقاصد الحضرية التي استدعاها الانغماس في الترف وتطلبتها الحضارة واستوجبتها الاحوال الاجتماعية فنمت اغراض اللغة وفسحت دائرتها واصبحت تتناول كل موضوع قلما اعوز اهلها القول في اي غرض ولا عز عليهم التعبير عن اي معنى فاصبحت لذلك لغة ملك وسياسة وعلم ودين وادب وحضارة واجتماع .

واما المعاني والافكار فقد كان لهذه الحضارة تأثير قوي ونتيجة ظاهرة في الحركة الفكرية للامة العربية والناطقين بلغتها ولا غرو فان الانقلابات الاجتماعية والثورات الفكرية تتناول من الامم رؤوسها ومن الشعوب عقولها .

ولقد ظهر ذلك في نثرهم ونظمهم بصور شتى فشاعت المعاني الدقيقة والتصورات الجميلة والاخيلة البديعة وكثر ذلك عما كان عليه من قبل ولاسيما بعد ترجمة الكتب الاجنبية ودراسة العرب علوم الحكمة والفلسفة وتغذية عقولهم بمعانيها .

اما الالفاظ فقد نمت بما تجدد فيها من وضع كلمات عربية جديدة بطريق المجاز او الاشتقاق والقياس لاصطلاحات العلوم والفنون والصناعات وبعض المسميات الحديثة ثم بما اقتبسه العرب من الالفاظ الاعجمية وخصوصاً من اللغة الفارسية لحاجتهم

اليها ولاسيما في الاسماء الآتية والوان الاطعمة وانواعها ونحو ذلك مما لم يكن لدى العرب فاستعاضوا عنه بالفاظ اهله بعد ان عربوها وصقلوها وجعلوها ملائمة للذوق العربي غير نابية عنه غير جامدين في ذلك ولا متحجمين عن امداد لغتهم بما يزيدها ثروة ولكنهم اقتصروا فيه واقتصدوا منه على مادعت اليه الضرورة حتى اضطروا ان يضعوا له بعدئذ معاجم خاصة بها تضبطها وتبين مأخذها واصلها حتى لاتلتبس بالعربية الاصلية ·

دخول بعض الاساليب المكتسبة وكثرة المترادف

ولما كانت الحضارة تأبى الا النعيم والترف ولا ترضى الا بالحسن الجميل في كل شيء عُنيت العرب في هذا العصر بانتقاء الالفاظ الرشيقة السهلة وايثار الكلمات العذبة الممثلة للمعنى تمام التمثيل وهجر الالفاظ الغريبة الحوشية واما الاساليب فقد تنوعت واقتبست العربية لها بعض اساليب الامم الاخرى مع الحرص على الذوق العربي وافتنُّوا في اساليب الكلام وتصرفوا في طرقه ثم توسعوا في التشبيه واوغلوا في المجاز والكناية الدقيقة وحلوا القول بما راق لهم من محسنات وربما صور المعنى الواحد بعبارات طويلة وجمل مترادفة تأكيداً له وافتناناً فيه واظهاراً لسعة اللغة وثروتها ·

ذلك شيء من الآثار الحسنة التي خلعت تلك الحضارة على اللغة حللها فبرزت في اجمل حلية وابهى زينة · وانا نقدمها لنرى ان العباسيين لم ينسوا لغتهم في اوج حضارتهم ولم يهملوا الاخذ بيدها فرفعوها المرتبة التي وصلوا اليها وبذلك ضربوا احسن الامثال ·

منشأ العامية واسباب انتشارها ووسائل حدها

ولكن هناك اثراً غير حميد كان نتيجة لازمة لهذه الحضارة واثراً لابد منه بعد هذا الاختلاط فما كادت الامة العربية تمتزج بغيرها من الامم حتى فشا الفسادُ في لغة ابناء جاليتها والناشئين في غير باديتها لنقص ملكة البلاغة فيهم واضطراب ترتيبها بمزاحمة ملكات اللغات الاعجمية لها · فكثر التحريف واللحن وسرت عدواه الى البادية بعد ان كان مقصوراً على الحاضرة وبقي داء العجمة يستعمل بين العامة والصناع ونظرائهم ممن لايترفعون عن مَعابة العُجمة من وضعاء العرب على الرغم من

محاربة الأئمة وأولي الامر لهذا الوباء بتدوين علوم اللسان وتقبيح العامية ومقت المتكلمين بها حتى نشأ في كل اقليم لغة عامية خاصة به مؤلفة من العربية المحرفة ممزوجة بشيء من الفاظ لغة الاقليم الوطنية ٠

ولقد راع الخلفاء والخاصة ذلك الخطب في صدر الدولة فحاربوه بكثير من الوسائل وقاوموه بحث العلماء على تدوين اللغة وبذل تمام العناية بضبط الفاظها ونشر علومها وكافؤوهم ببذر الاموال وأسالوا عليهم الذهب النضار وحشدوا في قصورهم ائمة اللسان وفحول اللغة والبلاغة يؤدبون ابناءهم وخاصتهم ويقومون من زيغ السنتهم فكانوا امراء الكلام وقائدي زمام الفصاحة كما كانوا امراء الملك وسادة الدولة ولكن ذلك كله لم يقف تيار العامية الزاخر ولم يحل دون سيلها الجارف ؛ وما زال الخطب يستفحل ويعز دواؤه ويستعصي علاجه حتى انتاب اللغـة ما انتابها ولم يكد يقبل النصف الثاني لهذه الدولة حتى كانت العامية لغة التخاطب بين الخاصة والعامة وابتعدت لغة الكتابة عن لغة المحادثة ولم تزل مسافة الخلف تتسع بينهما حتى صار لكل بلاد تنطق بلغة العرب لغة تخاطب عامية خاصة يتفاهمون بها ؛ بل انه في منتصف القرن الرابع حين تغلب بنو بويه اخذ سلطان العرب في الشرق يتراجع وهبت اللغات الاخرى تسترد حياتها وتطارد العربية من بلادها وهذا هو المتنبي من شعراء القرن الرابع يقول وقد زار بلاد فارس يصف شعب بوان [1]

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان [2]

ولم تزل اللغة العربية تدافع سيل الفارسية ثم التركية الجارف في الشرق حافظة لنفسها منزلة اللغة الرسمية (للدين والخلافة) حتى سقطت بغداد في يد التتار فغلبت اللغة على امرها وخضعت لقانون الطبيعة القاهر فكان ذلك آخر العهد بغلبة سلطانها

(١) وادي من اودية فارس الجميله ٠ (٢) اي ان العربي الذي كان صاحب الجاه فيها اصبح غريب الوجه اي الملبس واليد يعني ليس له نفوذ ولا سلطان واللسان اي لا لغة له في هذا البلد ٠

على المشرق ولكنها خلفت فيه ديناً وشرائع وعلوماً وآداباً لا تمحها يد الايام ولا تنال منها ظروف الحوادث حتى يرث الله الارض ومن عليها وقد كفل القرآن الشريف حياة هذه اللغة (وانا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)

ازدادت العامية ازدياداً عظيماً حتى اصبحت ملكة العربية في هذا العصر وما ورايه تستفاد من التعلم (كما هي الآن) وصارت تؤخذ من بطون الكتب والسنة القواعد الصامتة بعد ان كانت تتلقى من افواه العرب والسنة فحول البلاغة الناطقة ومن ذلك العهد لم يستجز العلماء الاستشهاد بكلام اهل هذا العصر وما بعده على اللغة افرادية او تركيبية .

هكذا تغيرت الحال وعبث باللغة غير اهلها.

فلا الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت اعرف

والآن وقد انتهى بنا البحث الى هذا الحد نرجو الله سبحانه ان يوفقنا الى الاخذ بيد امتنا لنواصل طريق الاصلاح الذي سار فيه العباسيون .

شبرا — مصر : محمود المنجوري

مباحث لغوية

ومن اعجب الغرائب ان العرب عرفوا التلباثيـة (Télépathie) وسموها : اللقحة . قال في لسان العرب : قال شمر : وتقول العرب : ان لي لِقْحةً تخبرني عن لِقاحِ الناس يقول : نفسي تُخبرني فتصدقني عن نفوس الناس ، ان احببت لهم خيراً احبوا اليَّ خيراً ، واناحببت لهم شراً احبوا اليَّ شراً . وقال يزيد بن كثوة : المعنى اني اعرف الى مايصير اليه لقاح الناس بما ارى من لقحتي . يقال عند التأكيد للبصير بخاص امور الناس وعوامها اه . فكأنّ للشعور عن بعد لقاحاً فتشعر النفس به وهذا الشعور هو اللقحة بكسر الاول وهو بديع الاشتقاق صادق الوضع يتبادر معناه الى الذهن بدون كدّ الفكر واجهاد النظر .

وفي بلاد الهند رياح تهب في اوقات معلومة اسمها عندالافرنج (Moussons) وهي من العربيـة موسم فسماها المعربون العصريون رياح المواسم او الرياح الموسمية ، واهل العراق يسمونهـا اليوم : برَصَات او برَصَاة بباء موحدة تحتية ورآء وصاد كلها مفتوحات بعدها الف وتاء مبسوطة او مدورة على السوآء . وسماها البيروني في كتابه عن الهند (برشكال) والعرب الفصحاء عرفوها بالبسارة بكسر الاول والبسار والمُبْسرات .

ومن هذه الكلمات العديدة لاترى واحدة منها في ابسط المعاجم الافرنجية العربية او العربية الافرنجية . فمن هذا ترى قصر هذه المؤلفات والحاجة الى وضع دواوين وافية بالمطلوب واضعة لكل لفظة ما يقابلها عند الاغراب .

واحسن عبارة تقوم مقام قول الغربيين (Modus viveudi) طريقة للتفاهم .

واذا عاد نبت ريش الطائر قيل (Se remplumer) والعرب تقول : اخلف .

وعند الفرنج نوع من الخبز يسمونه (Croissant) وسماه العرب في العراق في عهد العباسيين خُشكَنانج او خُشكَنانك .

وعرف العرب (Enfantillage) باسم الولودية (راجع هذه المادة في القاموس واللسان والتاج) .

وما يسميه الاطباء (hypertrophie du cœur) سماه الناطقون بالضاد الاظريراء . قال في التاج في مادة ظ ر ي : في نوادر الاعراب : الاظريراء والاظريراء البطنة او غلب على قلبه الدسم فانتفخ لذلك جوفه . نقله ابن سيده .

العُقبة (بالضم) . يقال : اكلوا عقبتهم ، ما يعقبونه بعد الطعام من حلاوة (اللسان والتاج) و بالفرنسية (Dessert) .

في المصباح : المنزعة : ما يرجع اليه الرجل من رأيه وامره و بالفرنسية (Cheval de bataille (au fig) Marotte) .

منجافا السفينة : جانباها . وقال الخطابي : لم اسمع فيه شيئًا اعتمده (التاج) والمشهور ان المنجاف هو جانب السفينة القريب من السكان ، لارتفاعه وهو من النجف وهو المعروف عند الفرنسيين باسم (Tillac) و بالانكليزية (Deck) .

مقطَّعات الشيء : طرائقه التي يتحلل اليها ويتركب عنها (التاج) (Parties constituantes d'une chose) .

من المجاز : اسعطهُ علماً : اذا بالغ في افهامه وتكرير ما يعلمهُ عليه : (Faire aprendre une ch. à force de la répéter ; répétailler) (التاج) وما كنت اتصور يوماً اني ارى في العربية هذا التعبير العجيب .

الحفيّ : العالم يتعلم الشيء باستقصاء ومنه في سورة الاعراف : يسألونك كأنك حفيٌّ عنها مستقصياً ، لان من بالغ في السؤال عن الشيء والفحص عنه استحكم علمه به ولذلك عُدّي بعن . والجمع حفواء وهو بالفرنسية (spécialiste) وقد سمّاه بعضهم الاختصاصي والاخصائي وهذه من اخصَى تخفيف اخصَّ اي اختصَّ وقلب المضاعف اجوف امر معروف عندهم فقد قالوا نقضّى في نقضّض وغمّ الشيءَ غطاه : وغما البيت او غمى البيت : غطاهُ بالطين والخشب ، واغمت السماء تغيرت وصارت ذات غمام ، واغمي يومنا : دام غيمه ، واغمى الخبر : استعجم وخفي مثل غُمَّ والامثلة كثيرة لا حاجة الى ايرادها و بهذا القدر كفاية .

محقق

———

الحبشية والعربية (١)

اللغة الحبشية هي احدى اللغات الشرقية المعروفة باللغات السامية وهي قديمة العهد جداً كأختها اللغة العربية وأصلها اللغة الحميرية التي لا تزال آثارها في بقايا العاديات في بلاد العرب ٠

ولها أخوات أُخَر وهي الارامية والسريانية والعبرانية ٠ وبين العرب والحبش اتصال منذ القرون الغابرة وعلى هذا الاتصال براهين كثيرة تاريخية وجغرافية اقتصر منها على ذكر قصةٍ وردت في التوراة عن سَفَرِ (ميكاديا) ملكة سبا في (التيمن) الى اورشليم لتشاهد الملك سليمان ، فميكاديا هذه كانت احدى ملكات الحبش وكانت مملكة الحبش في عهدها مملكة عظيمة يمتد سلطانها الى بلاد النوبة ومصر ، فسلالة الفراعنة السادسة والثلاثون كلها حبشية، وبلاد الكونغو وجزء من الهند ومن ساحل العرب الاسيوي فالبحر الاحمر لا يزال يدعى الى اليوم عند الاحباش اريثريا ايثيوبيا اي الخليج الحبشي لامتداده في داخل بلاد الحبشة ٠ وكانت التيمن اذ ذاك احدى ممالك تلك السلطنة الواسعة الاطراف وهي معروفة اليوم باسم اليمن وكانت قاعدتها مدينة سبا مشهورة بغناها ووفور الذهب فيها ٠

وقد تنبأ ابن سيراخ النبي عن مجيء ملوك المجوس الى اورشليم لدى ولادة المسيح والمجوس هؤلاء كانوا ملوكاً في الحبشة وفارس ٠ فقد جاء في سفره مخاطباً مدينة اورشليم العظمى بقوله : « سوف يأتونكِ من بلاد سبا حاملين ذهباً » ٠

اكتفي بهذين الشاهدين عن البينات التاريخية الجمة التي تثبت قدم اتصال الحبش بالعرب ٠ لذلك لا عجب اذا كانت لغتهم اختاً شقيقةً للغتنا العربية العريقة في القدم ٠ مر الزمان وكرّت الاجيال ولغتنا الشريفة حيةٌ يتكلم بها بنوها في الاقطار السورية والحجازية والعربية والمصرية والمغربية ويقرأها الملايين سواهم من المسلمين في آسيا وافريقيا وأوربا واميركا لانها لغة القرآن الكريم ٠ اما اخواتها اللغات السامية فقد

(١) من خطاب القاه الاستاذ السيد عبد الله رعد احد اعضاء المجمع العلمي يوم قبوله عضواً فيه ٠

امست في عداد اللغات الميتة . وقد صار بعض هذه اللغات في خبر كان ولم يبق الا آثارها في العاديات كالآرامية ، والبعض الآخر بقي لغة الكتب الطقسية الدينية كالسريانية والعبرانية والحبشية وهي من هذا القبيل اشبه باللاتينية واليونانية اللتين ماتتا وبقيت آثارهما في الكتب الدينية . وكما ان اليونانية القديمة ولدت الحديثة واللاتينية خلفت ذرية من البنات وهي الفرنساوية والايطالية والاسبانية ، كذلك اللغات السامية الميتة خلفت من بعدها السريانية الحديثة التي يتكلم بها بعض أهل مابين النهرين وفروع آخر منها يتكلم به بعض قرى جبل القلمون في سوريا كمعلولا وعين التينة . وعلى هذا المثال خلفت اللغة الحبشية القديمة من بعدها لغات تكتب وتقرأ بنفس حروف هجاء اللغة الاصلية يتكلم بها اليوم اهل المقاطعات الحبشية وهي اللغات الامحرية والتغرية والهررية .

فمحور كلامي في هذا الخطاب عن اللغة الحبشية الامحرية ومقابلتها باللغة العربية لانها اللسان الحبشي الاعم والاكثر انتشاراً وهو اللغة الرسمية في الحكومة ويتكلم بها اربعة اخماس الحبشة . وهي التي تقرب ايضاً باشتقاقاتها من اللغة الحبشية الاصلية اكثر من أختيها التغرية والهررية السائرتين اليوم الى الزوال .

قلت آنفاً ان اللغة الحبشية اختٌ للغتنا العربية . ولا بدّ للاخوات من التشابه ولو في بعض الوجوه . فما هي وجوه الشبه بين العربية والحبشية حتى يصحّ ان يقال ان هذه اختٌ لتلك ؟

هذا ماتوخيتُ تفصيلهُ في هذا البحث فاقول :

وجوه الشبه كثيرة ولو رمتُ تعدادها لطال المقال ولكني اجتزئ منه بالقدر الكافي .

ابتدئ بذكر الكثير من الالفاظ المتشابهة في اللغتين . فمن العربية ماهي حبشية الاصل كالنجاشي والمنبر والانجيل والمصحف والطاغوت والقِس والحوار بين وغيرذلك مما افردتُ له باباً خاصاً في مجلة المجمع . ومن الكلمات الحبشية ما هي عربية الاصل او يتعذّر الحكم القاطع فيها اذا كانت عربية الاصل نقلت الى الحبشية ام العكس وذلك لان اللغتين عريقتان في القدم من ذلك راس وعين ولسان وكثير غيرها من

الكلمات التي لها في كلا اللغتين نفس المبنى والمعنى . و (أدج) اي يد و (أ كر) (اي رجل) وأنفيا (اي انف) وأدّيس (اي حديث) ومسكوت (اي مشكاة) وكثير غيرها ايضاً مما يشبه في اللفظ الكلمات العربية التي تساويه في المعنى وقد نحتت وتطورت كما هو شأن النحت والتطور في الكلمات التي تؤخذ من لغة الى لغة .

اذكر ثانياً تشابه القواعد اللغوية بين اللغتين العربية والحبشية مع بعض الشواذات التي سأُلمُ بها :

الحروف الهجائية وحركاتها من ضمٍ وفتحٍ وكسرٍ وإشباعٍ لفظ حروف العلة كله موجود في اللغة الحبشية ما خلا الثاء والذال والضاد والظاء والعين على ان هذه تحتوي على حروف لفظها غير موجود في اللغة العربية كالتشين وهي غير الشين والدجيم وهي غير الجيم الموجودتين ايضاً فيها والكيم وهو في الحبشية حرف مستقل بعكس اللغة العربية التي فيها الجيم حرف يلفظ جيناً في سورية وكيماً في مصر ودجيماً في غير اقاليم . وزد على ذلك في اللغة الحبشية حركة لفظها (o) وحركة لفظها (é) او (ié) في بعض الكلمات وهاتان الحركتان غير موجودتين في اللغة العربية . والعربية كسائر اللغات السامية تكتب من اليمين الى الشمال ، اما الحبشية فهي وان كانت سامية تكتب من الشمال الى اليمين كلغات اوربا .

والصرف في اللغة الحبشية فيه كثير من القواعد والاشتقاقات والمزيدات كصرف اللغة العربية . من ذلك الفعل فهو ثلاثي ورباعي في الحبشية ولكنَّ عين فعله على الدوام مشددة في الافعال الصحيحة نحو كدَّل (اي قتل) وهو ثلاثي وأنبَّب (اي قرأ) وهو رباعي . اما مزيدات الفعل في الحبشية فهي نفس المزيدات العشر في الصرف العربي لكنها غير مستعملة كلها . مثال ذلك صحَّف (اي كتب) فيها تَصحف (اي كتب او انكتب) وهو مستعمل للمجهول ، تصاحف (اي تكاتب) أسْصَحَّف (اي استكتب) وكذلك مشتقات الفعل من مصدر واسم فاعل ومفعول واسم آلة ومكان وزمان لجله مستعمل في اللغة الحبشية . فيقال : صحفة (اي كتابة) ومصحف (اي مكتوب او كتاب) وصحافي (اي كاتب) ومَصحافياً (اي مكتبة) وهلمَّ جرّاً .

وفي الافعال الحبشية ايضاً افعال معتلة وفيها قلبٌ وحذفٌ وإعلال كالافعال المعتلة العربية . فمن معتلة الفاء مثلاً عندهم فعل آلَ (اي قال) واصله بالغين فحذفت الثانية وعوض عنها بمدة على الاولى . ومن معتلة العين فعل قومَ (اي قام) اصلها قوَم فحذفت الواو وأُبدلت فتحة القاف ضمة للدلالة على الواو ، وكذلك فعل هيدَ (اي ذهب) اصلها هَيَدَ حذفت الياء وأُبدلت فتحة الهاء كسرةً للدلالة على الياء المحذوفة . ومن معتلة اللام فعل مطّا (اي جاء) اصلها بالغين حذفت الالف الاخيرة للتخفيف ووضعت مدة على الاولى للدلالة على الالف المحذوفة . وهلمّ جرّا . وكذلك القول عن حروف المضارعة في صيغة الفعل المضارع . فيقال في صحّف يصحف ونصحف وتصحّف الخ . ولكن هذه الحروف المضارعة ساكنة في اللغة الحبشية على الاطلاق اذ لا بأس فيها من الابتداء بالساكن . على ان الفعل المضارع على هذه الصيغة لا يستعمل وحده في اللغة الحبشية بل يضاف اليه فعل مساعد في تصريفه كما يضاف فعل (Avoir) وفعل (être) في تصريف الافعال الفرنساوية . وهذه الافعال المساعدة هي فعل (ألا) للحاضر (ونَبر) للماضي الناقص بمعنى كان . فيقال: يصحفال (اي يكتب) وتصحفاله (اي تكتب) وأصحفاله (اي اكتب) ونصحفالن (اي نكتب) وقس على ذلك هذا عن الفعل .

اما الاسم ففيه السماعي وهو قليل بالنسبة للمشتق نظير مُدُرْ (اي ارض) سماي (اي سماء) ونحوهما . على ان اكثر الاسماء في اللغة الحبشية مشتقة من الافعال ، لذلك نرى الميدان واسعاً في المشتقات عندهم من اجل التعبير عن الاشياء الجديدة التي لا اسم لها قديماً في اللغة وخصوصاً المصادر واسماء الآلة .

المذكر والمؤنث في اسماء الاشياء سماعيان على الاطلاق ولا اداة تأنيث تدل على الاسماء المؤنثة . اما في الحيوانات فالاحباش يكتفون بذكر كلمة ذكر وانثى مع الاسم عند التخصيص . فيقولون وَنْدُفَرَس (اي فرسٌ ذكرٌ عن الحصان) وسْيِيت فرس (اي فرسٌ انثى عن الفرس) وكذلك وَنْد أهْيا (اي حمار ذكر) وسيِيت أهيا (اي حمار انثى عن الحمارة) وهلمّ جرّا .

صيغة الجمع في الاسماء الحبشية سالمة على الاطلاق وهي لفظة (أُوتْش) تزاد

على آخر الكلمة فيقال مثلاً في فرس فرسوتش الا بعض الكلمات المعدودة تشذ عن هذه القاعدة فتجمع على صيغ شبيهة بصيغ الجموع العربية نحو مَصحف مَصاحِفة وقيس قساقسة (اي قس وهو الراهب تجمع في اللغة العربية على قساقسة) ومن هذه ما تجمع بالف وتاء نحو حواري حواريات (وهو واحد الحوار بين وهم صحابة المسيح) وسماي سمايات . و يظهر ان الالف وتاء التي هي جمع للمؤنث السالم في اللغة العربية هي في اللغة الحبشية الاصلية لجمع المذكر السالم لذلك هم قالوا في سماي سمايات لان السماء مذكرة في اللغة الحبشية لا مؤنثة كما في اللغة العربية .

ولننتقلن بالبحث الى النحو فاقول :

النحو في اللغة الحبشية بسيط جداً . فالحرف مبني على الاطلاق كما في اللغة العربية والفعل المضارع فيه شيء قليل من الاعراب وهو الجزم وان شئت فقل النصب وذلك بان يحذف الفعل المساعد منه اذا دخلت عليه (أنْ) الناصبة . اما الاسم فكاللغة العربية يصح ان يكون فاعلاً ومفعولاً به وان يدخل عليه احد حروف الجر وان يكون مضافاً ومضافاً اليه وهذه مجمل قواعد النحو في الاسم الحبشي . اما الممنوع من الصرف والمبتدأ والخبر وكان واخواتها وان واخواتها وسوى ذلك من تطويلات النحو العربي فلا اثر لها في النحو الحبشي . يقوم الاعراب في اللغة العربية بتغيير حركات او حروف تحدث في اواخر الكلم اما الاعراب الحبشي فيقتصر على زيادة نون تنوين على آخر الاسم اذا كان مفعولاً به وهي كتنوين النصب في اللغة العربية اما المرفوع (اي الفاعل) والمخفوض اي المجرور بحرف جرّ او باضافة فلا دلالة ظاهرة في اعرابها وهما يعرفان من مكانها في تركيب الجملة فيبتدأ بالفاعل وهو مبني ثم يأتي المفعول وهو منصوب بنون التنوين تدخل على آخره ثم المخفوض الذي يعرف من دخول حرف الجر او الاضافة عليه والفعل يبقى لآخر الجملة كتركيب الجمل في اللغة التركية . فاذا قلنا مثلاً : اخذ الولدُ الكتاب بيده ، ركبنا الجملة هكذا : لدجْ مصحفن بأدجوياز . فلدج اي الولد هي الفاعل وقد وضعت في رأس التركيب ثم مصحفن اي الكتاب وهي المفعول به تعرف من دخول تنوين النصب عليها ثم بادجو (اي بيده) جارّ ومجرور ومضاف ومضاف اليه يُعرف من دخول باء الجرّ عليه واضافته للضمير المتصل و ياز هي

فعل أخذ الماضي و بها تختم الجملة · بقي علينا كلمة عن الضمائر قبل ان نختم البحث في آداب اللغة · فالضمائر في اللغة الحبشية متصلة ومنفصلة كشقيقاتها في اللغة العربية فالمتصلة تتبع الاسم او الفعل وهي مبنية على الدوام كما في اللغة العربية نحو قولهم مصحفي (اي كتابي) مصحفك (اي كتابك) مصحفو (اي كتابه) · والمنفصلة تعمل عمل الاسماء فتبنى في حالتي الرفع والجر وتدخل عليها نون التنوين في حالة النصب نحو انا اياك كلمتُ فيقولون أنيه أنت نْ نكررهو ·

آداب اللغة من معان وبيان وفصاحة ومنطق وعروض وسجع كله موجود في اللغة الحبشية ولكن بحالة اولية جداً · فالنظم مثلاً يوجد منه بعض مقاطيع قديمة هي خليط من اللغة الحبشية الاصلية واللغة الحبشية الامحرية ، أبياتها مقفاة ولكن اوزانها سقيمة جداً كالشعر العامي في العربية المعروف بالقرادي · وجميع هذه القصائد هي في مديح بعض الانبياء والاولياء او في تعظيم بعض الملوك والقواد الفاتحين · كذلك السجع لم أرَ منه الا في الاغاني الاهلية وهي من هذا القبيل تشبه الاغاني العربية المسجعة التي تأتينا من مصر فتلحن على انغام مختلفة واذا جردناها عن اصول النغم وحسن صوت المغني نجدها كلمات لاطعم لها ولا لذة · وما سوى ذلك من آداب اللغة فالفصاحة فيه كل الفصاحة يضعونها بالاختصار ما امكن وهي عندهم من باب : خير الكلام ما قل ودل على انهم مع ذلك يكثرون من التعظيم والاطناب وتفخيم الكلام في الديباجة كما هو الشأن في اللغات الشرقية كافة ·

واختتم على سبيل الفكاهة بمثال من الانشاء يعد عند الاحباش بالغاً حد الفصاحة · وهو صورة رقيم من النجاشي السابق منليك الى ابن اخته الراس مكونين امير البلاد الهررية الخاضعة له انشأ الكاتب الامبراطوري الخاص وحافظ اختام النجاشي يقول بعد وضعه ختم سيده في أعلى الرسالة كعادة قياصرة الرومان ·

لقد ظفر الاسد الذي من سبط يهوذا رسالة منليك الثاني بنعمة الله ملك صهيون ملك ملوك الحبشة ، ابن سليمان بن داود حسب الجسد وابن بطرس وبولس حسب النعمة ، الذي بيده حياة رعاياه وموتهم ، الذي تعنو له بنو البشر والحيوان · الذي لايحلف باسمه بشر باطلاً فيحيي ولا يُستحلف باسمه رجل فلا يُطيع · الذي اذا قال

فعل واذا امرَ لا مَردّ لامره واذا قضى لا استئناف لحكمه · جندي الله ومحارب اعداء الله· الى الراس مكونين ، فليكن لك سلامنا ، بما ان عبدنا العقوق اوليه الذي جعلناه راساً واقطعناه بلاد ابيه قدقام علينا ، قمْ انتَ بجيشك وقاتله وأتنا به مكبلاً بالحديد · حُرّر في مدينة اديس ابابا في اليوم الثالث من ايام النسي عام ١٨٧٠ من سني النعمة ·

المرحوم المعلم اوجانيو غريفيني

ولد المعلم غريفيني في ميلانو في ٢٦ من كانون الاول سنة ١٨٧٦ الموافق لمستهل المحرم سنة ١٢٩٦ ! وكان منذ شبيبته يميل الى تعلم اللغة العربية حتى شرع في درسها وليس له معلم ثم رحل الى نابولي ونال هناك في المعهد الشرقي (R. Istituto orientale) الاجازة في اللغة المذكورة وبعدذلك تعاطى درس الفقه في مدرسة جانوا (Genova) الكلية ونال فيها الاجازة في الفقه ايضاً ، وبعدذلك سافر الى الجزائر وتونس وطرابلس الغرب ومصر و بعد رجوعه اختير معلم العربية في مدرسة فلورنسا (Firenze) الكلية غير انه فضل الاقامة في الشرق واستقر في القاهرة وكان في السنين الاخيرة من مقرّبي الملك فؤاد الذي جعله حافظ خزانته الخاصة ·

واما تآليفه فهي كثيرة ونقتصر هنا على ذكر أهمها : ومنهـا كتاب صغير الحجم كثير الافادة وضعه في علم اللغة الدارجة في طرابلس الغرب وسماه التحفة اللوبية في اللغة العامية الطرابلسية (Milano, Hœpli 1913) وهو يحتوي على قاموس ايطالي وطرابلسي وفي اوله نبذة من قواعد هذه اللهجة ·

وكان تاجرٌ ايطالي قد جمع في صنعاء اليمن مخطوطات عربية عديدة فباعها من خزانة الكتب في ميلانو المشهورة (L' Ambrosiana) وكان ذلك بواسطة المرحوم غريفيني فرتبها ووضعها في فهرس مطوّل ذكر فيه كل ما تتضمن تصانيف ورسائل شتى ، ووجد فيما بينها كتاباً عنوانه مجموع الفقه وهو منسوب الى زيد بن علي فطبعه المرحوم· وذكر في المقدمة كل مايتعلق بهذا الكتاب وزعم انه اول كتاب وضع

فعل واذا امرَ لا مَرَدَّ لامره واذا قضى لا استئناف لحكمه · جندي الله ومحارب اعداء الله· الى الراس مكونين ، فليكن لك سلامنا ، بما ان عبدنا العقوق اوليه الذي جعلناه راسًا واقطعناه بلاد ابيه قدقام علينا ، قمْ انتَ بجيشك وقاتله واْتنا به مكبلاً بالحديد · حرِّر في مدينة اديس ابابا في اليوم الثالث من ايام النسي عام ١٨٧٠ من سني النعمة ·

المرحوم المعلم اوجانيو غريفيني

ولد المعلم غريفيني في ميلانو في ٢٦ من كانون الاول سنة ١٨٧٦ الموافق لمستهل المحرم سنة ١٢٩٦ ! وكان منذ شبيبته يميل الى تعلم اللغة العربية حتى شرع في درسها وليس له معلم ثم رحل الى نابولي ونال هناك في المعهد الشرقي (R. Istituto orientale) الاجازة في اللغة المذكورة وبعد ذلك تعاطى درس الفقه في مدرسة جانوا (Genova) الكلية ونال فيها الاجازة في الفقه ايضًا ، وبعد ذلك سافر الى الجزائر وتونس وطرابلس الغرب ومصر و بعد رجوعه اختير معلم العربية في مدرسة فلورنسا (Firenze) الكلية غير انه فضل الاقامة في الشرق واستقر في القاهرة وكان في السنين الاخيرة من مقرَّبي الملك فؤاد الذي جعله حافظ خزانته الخاصة :

واما تآليفه فهي كثيرة ونقتصر هنا على ذكر أهمها : ومنهـا كتاب صغير الحجم كثير الافادة وضعه في علم اللغة الدارجة في طرابلس الغرب وسماه التحفة اللوبية في اللغة العامية الطرابلسية (Milano, Hœpli 1913) وهو يحتوي على قاموس ايطالي وطرابلسي وفي اوله نبذة من قواعد هذه اللهجة ·

وكان تاجرٌ ايطالي قد جمع في صنعاء اليمن مخطوطات عربية عديدة فباعها من خزانة الكتب في ميلانو المشهورة (L' Ambrosiana) وكان ذلك بواسطة المرحوم غريفيني فرتبها ووضعها في فهرس مطوّل ذكر فيه كل ما تتضمن تصانيف ورسائل شتى ، ووجد فيما بينها كتاباً عنوانه مجموع الفقه وهو منسوب الى زيد بن علي فطبعه المرحوم· وذكر في المقدمة كل مايتعلق بهذا الكتاب وزعم انه اول كتاب وضع

في الفقه وانه منسوب على التحقيق الى زيد بن علي ، واعترض عليه غير واحد بان الكتاب طرأ عليه تبديل اذ الرواية كلها او اكثرها ترجع الى حافظ لا يوثق به اعني ابا خالد الواسطي و يؤكد هذا الاعتراض ان خطوط هذا المجموع جديدة قريبة العهد فالارجح ان المجموع مما اخترعه ابو خالد وعلماء الزيدية زعماً منهم ان كل ذلك راجع الى زيد بن علي ، والله اعلم ، ولا شك ان كل هذا الاعتراض لا ينقص فضل المرحوم غريفيني اذ في المجموع المذكور فوائد كثيرة تساعدنا على معرفة مذاهب الزيدية في الفقه ،

واعتنى المرحوم ايضاً بتاريخ علم الفلك عند العرب وببعض شعرائهم المشهورين فابرز ديوان الاخطل وقصيدة منسوبة الى امريء القيس وقصيدة قدم ابن قادم صاحب جبل ظبين و بين قصيدة الاعشى المعروفة بـ ما البكاء ·

وهذه التآليف كلها تشهد للمرحوم بالفضل فانه افاد بها من يشتغل بلغة العرب وعلومهم و يزيد ذلك اسفنا على موته العاجل ، يا و يلاه « ما في الناس من خالد » !

وتوفي المعلم غريفيني في القاهرة في ٣ ايار ١٩٢٥ م و ٩ شوال ١٣٤٤ هـ

جويدي

هذا ما نقل العلامة الكبير السنيور جويدي فكتبه بالعربية عن المرحوم غريفيني وقد ترجم له احد اصدقائه في مصر الاستاذ السيد توفيق اسكاريوس في جريدة المقطم فما قال فيه :

ومن سنة ١٩١١ الى سنة ١٩١٣ في اثناء حوادث طرابلس الغرب عين سكرتيراً لادارة اركان الحرب ليرسم الخرط الجغرافية لمعرفته باسماء المدن والقرى والامكنة ثم عين مساعداً لامين مكتبة امبروزيانا بميلانو ·

وفي آخر سنة ١٩٢٠ هبط مصر وكنت منتدباً من دار الكتب المصرية لترتيب مكتبة الديوان العالي من ابريل الى اكتوبر فكانت اول معرفتي به في قاعتها حيث تسلم اعماله وبعد ان رجعت الى عملي وكثرت اجتماعاتنا كزميلين اما في الدار او خارجها ·

ولما نشأت الفكرة لتأسيس جمعية للتاريخ ابحاثها بالافرنجية بالقاهرة سنة ١٩٢١ اختير الدكتور غريفيني سكرتيراً لها وانضم الى عضويتها كبار موظفي القصر وكانت

جمعية أُخرى مصرية برئاسة معالي جعفر والي باشا قد أُلفت في الجامعة المصرية وسن لها قانون قبل ذلك بعام ولكن من الاسف لم يتم تأليف الجمعيتين ٠

وفي فبراير سنة ١٩٢٢ كانت خرائب الفسطاط قدتم استكشافها فلبي الكثيرون دعوة حضرة يوسف افندي احمد المفتش بلجنة حفظ الآثار الذي كان دليلنا ومحاضرنا الفاضل يشرح لنا الطرقات والمناسبات التاريخية وكان المترجم من اكثر المهتمين والمتتبعين للشرح المفيد واخذ بنفسه صور اخوانه من المجتمعين واخذت له صورتان معهم للتذكار ٠

وكثيراً ما كنت تراه وحيداً في تأملاته ينفرد مفكراً ويعنى بكتابة مفكراته ويقيد فيها ما استفاد من رحلاته ومشاهداته ولا يبعد ان تظهر تلك المفكرات في وقت من الاوقات مطبوعة بعناية احد اصدقائه الذين يعنون بجمع كل ما ترك فقيدهم مع حصر مؤلفاته ونبذه ومقالاته سواء كانت باللغة العربية اوالاجنبية فيظهر كتيب شامل لترجمة حياته وهكذا يعملون لتخليد ذكرى اموانهم العلماء ولا يكتفون بحفلات تأبين يندبون فيها الراحلين لان في هذا مالا يغني او يشبع من جوع فالقوم عمليون لا خياليون ٠

وبمناسبة المقالات التي كان يكتبها اذكر ان كل اعتماده كان على بطاقاته المرتبة بالموضوعات في ظروف خاصة معنونة باسم كل موضوع فاذا اراد كتابة ما يريد يرجع الى ظرفه الخاص وبعد ساعتين او ثلاث تجتمع لديه المادة المجيزة للمقال الوافي بالبيان الشافي ٠

وعلى هذه الوتيرة كانت ابحاثه ومذكراته كتبت لمناسبات عن الفارابي والمعلم الاول ارسطو ثم عن حريق مكتبة مدينة الاسكندرية المنسوب خطأ لعمرو بن العاص اذ كان العامل فيها غيره من الذين تولوا حكم مصر من قبل الرومان فترجم الاستاذ فيورلاني هذه القطعة بالايطالية لتنشر في مجلة علمية مدعمة بالاسانيد التاريخية الصحيحة ٠

على ان اهم بحث وقف عليه الاستاذ هو ذلك الذي خصصه للعلم بأصل التشريع العام وتاريخه في العالم وعند كل أُمة فقد ذكر في بحث جم الفوائد او من جمع وصنف فيه من اهل الكتاب في المشرق سواء كانوا من العرب المسلمين او المسيحيين او

السريان اوالارمن او يهود العراق او يهود سورية او من الطوائف واصحاب الديانات الاخرى الاسيوية كانت او افريقية ٠

وانه وايم الحق لبحث مستفيض غزير المادة مدعم بالاسانيد يدل على مبلغ علم الرجل وقيمة ادبه وفضله وتعشقه للغة العربية التي تخصص فيها واصبح علماً يقصد ويعرفه كثير من المصريين وغيرهم من علماء الاجانب ٠

اجل ان هذا البحث لمستطاب بذل فيه عناية خاصة فرتبه سهلاً وجعله كشجرة شبيهة بما يستعمل للانساب على أسلوب تاريخي مقارن ٠ فالبحث يبدأ من القرن الثالث للميلاد اي من عهد مجموع القوانين الرومانية التي جمعها امبروسيوس اسقف ميلانو (وكانت تعرف قبلاً باللاتينية « مديولان ») و يقول الاستاذ ان تلك القوانين جمعها الاسقف بتلك اللغة ثم نقلت الى السريانية ثم ترجمت الى الحبشية سنة ١٦٨٧ ميلادية نقلاً عن مجموع القوانين القبطية المنسوبة الى الانبا ميخائيل اسقف مليج الذي كان في القرن الثاني عشر للميلاد والمفهوم انه كانت للكنيسة قوانين مجموعة قبل ذلك ومنسوبة الى الاسعد بن العسال وهو المشهور باسم المجموع الصفوي وقد ترجمت ايضاً الى اللغة الحبشية وهي معمول بها بتلك البلاد وقد وقف على ترجمتها بعد تحقيقها الى اللغة الايطالية الاستاذ اجناتسيو جويدي المشهور (الذي كان بين ظهرانينا بمصر وصرف ثلاث سنوات مدرساً في الجامعة المصرية عند تأسيسها) في مؤلفه الكبير المعنون بفتحانجست اي قانون ملك الملوك ٠

وقد استخلص المترجم من كل ذلك ان تلك الشرائع الشرقية المختلفة مستمدة كلها من نموذج اصلي واحد يتمشى عهده في القدم مع تاريخ البشر ان كان من قبيل التصنيف او التبويب الاول بينما هي مستقلة بعضها عن البعض الآخر من جهة العقائد والاحكام والاصول والفروع والانتساب الى الاديان لا الى علم الفقه في ذاته ومبدئه وانه واحد من روما الى العراق ومن ارمينية الى مصر والسودان والحبشة مثل قوانين بناء العمارات وفن المباني مع بقائها مستقلة بالنسبة للحالة الجوية كل قانون على حدته بما يلائم ذوق كل بلد وتلك آثار تدل على انه ليس في الدنيا الا بشر واحد ومدنية واحدة وحق واحد وعلم واحد ٠ اذن فليس الاختلاف الا في اسماء الاجناس

والقبائل والعشائر ومواقع الاوطان وعقائد الاديان وهذا هو بيت القصيد وما يرمي اليه المترجم وذلك آخر بحث من ابحاث مقدمته الطويلة · فهل يتقدم بعضهم لتعريب ملخصه بما يفيد الشرقيين؟ يقيني انه يهمهم قبل مايهم الباحثين من ابناء الغرب المجتهدين مثلهم ان يعلموا آثار الاجداد ولو ان « مستهل » ببغداد قد انتقده في الهلال ١٩٢١ انتقاداً ركيكاً لم يقلل من قيمة الكتاب ·

وآخر ماأذكر للمترجم من فضله على التاريخ والادب نقله صورة من« لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية » للامير عثمان بن ابراهيم النابلسي الذي تولى نظارة الدواوين المصرية في سنة ٦٣٢ هجرية ومكث ٢٣ عاماً رتبها على مقدمة وخمسة ابواب وبين فيها مايجب به حفظ بيت المال وترتيب الدواوين والولاية واقسامها وغير ذلك بنسخة كاملة مخطوطة بدار الكتب مع اخرى بها خرم موجودة في الدار وتفيد في المقابلة وكان المترجم قد نسخ من المخطوط الاول صورة بخطه من نحو ثلاث سنوات يريد اعدادها للطبع بعد ابحاث مفيدة ومقارنات مفيدة كعادته ويظهر انه أتمها ثم استأذن الدار في استعارة الاصل والنسخة الاخرى المخرومة وشرع في المقابلة بينهما ولكن لما اشتد عليه المرض ورأى عدم قدرته على الاتمام ارجع الامانة الى مكانها بالدار في منتصف ابريل الماضي وقد وجد المخطوط المنقول على مكتبه بالديوان العالي وأرسل كوهيته الى ميلانو ·

وكان المترجم متتبعاً للحركة العلمية للاستكشافات والتنقيب فان بعثة المعهد العلمي الفرنسوي للآثار الشرقية بالقاهرة عثرت في ادفو سنة ١٩٢٣ على « الجامع في الحديث » تأليف ابي محمد عبد الله بن وهب بن مسلم العذري القرشي بالولاء المصري المولود في ذي القعدة من سنة ١٢٤ ه وقيل سنة ١٢٥ وهو كتاب جامع في الحديث بخط معتاد ويظن انه كتب في اوائل القرن الثالث الهجري على اوراق بردية ·

فهذا المجموع بعد ما اخذت صورته الشمسية (وقد علمنا ان الاستاذ كانازفا المستعرب الفرنسوي أعلم المستشرقين بهذا الاستكشاف في العام الماضي) أودع بدار الكتب المصرية وفي قاعة المعرض وقد يأتي اليوم الذي يطبع فيه وينشر على الملأ لفائدته العظمى ·

ومن قبيل عنايته ان عرض بعضهم للبيع مخطوطاً من صحيح البخاري في جزئين بخط الشيخ احمد بن عبد الوهاب النويري صاحب نهاية الارب في التاريخ والادب (الذي تطبعه دار الكتب المصرية وقد ظهرت منه خمسة اجزاء) مكتوب عليه ان هذه النسخة هي الثالثة من نسخ ثلاث كتبها بخطه ولكن نظراً لان تاريخ كتابتها لا يوافق من سن النويري المذكور الا سن الحادية عشرة فقط استبعد المحققون والمترجم في مقدمتهم ان يكون الكتاب بخطه وتلك ملاحظات لا يعرفها غير الخبيرين المدققين .

وكم كان سروره عظيماً اذا استشير في نشر كتاب عربي قديم مفيد فانه ما كان يتأخر في ابداء نصيحته وتقديم معلوماته القيمة واني أذكر مثالين :

الاول — كان بين تلاميذه آنسة ايطالية اسمها «كودتسي» بين خريجي جامعة ميلانو ارادت الاشتغال والاشتراك في المؤتمر الجغرافي الدولي المنعقد في ابريل الماضي بالقاهرة فاسترشدت معلمها فارشدها الى كتاب آكام المرجان في ذكر المداين المشهورة في كل مكان تأليف اسحق بن الحسين المنجم وهو الذي يشير اليه الادريسي في اول كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق وابن خلدون في مقارنة تاريخه الكبير ولم يعرف عن آكام المرجان هذا الا النسخة المخطوطة المحفوظة بالقسم العربي بمكتبة ميلانو واصلها من صنعاء اليمن فهذا الارشاد حمل الآنسة المذكورة على ان تعمل بجد في نشر الاصل العربي مع ترجمة ايطالية وحواش وفهارس على النمط الذي سلكه المترجم في «المجموع الكبير في الفقه» المتقدم ذكره وبالطبع سيذكر في المقدمة شيء واف خاص بالمؤرخ والجغرافي المعروف عند الافرنج باسم ليون الافريقي مع ان اسمه الحقيقي حسن الوزاز او الوزان الفاسي الغرناطي وقد وضعه باللغة العربية .

الثاني — تقديم معلومات عن النيل ومن الف فيه من علماء القرون الوسطى الى المقامات العالية البحاثة بارشاد الى مصادر قيمة في التاريخ والجغرافيا كالمخزومي والمحلي والسيوطي والمنوفي .

آراء وافكار

حفلة تكريم امير الشعراء

« في دار المجمع العلمي العربي »

أقيمت في دار مجمعنا العلمي عصر يوم السبت الواقع في ١٠ آب سنة ١٩٢٥ حفلة تكريم كبرى باسم امير شعراء العصر (احمد شوقي بك) أقامها جمهور من ادباء الحاضرة على اختلاف الطبقات والطوائف وقد شهدها جمهور كبير من اعيان دمشق وعلمائها وفضلائها قدر بالف وخمسمائة وفيهم طائفة كبيرة من طلاب المدارس العالية وعامة الناس الذين أصبحوا في شوق شديد الى رؤية (شوقي) واستجلاء هلاله . بعد ان سمعوا الدرّ من لفظه . والسحر الحلال من اقواله .

افتتح الحفلة الاستاذ السيد محمد كرد علي رئيس المجمع بخطاب وجيز رحب فيه بالضيف الكريم وأشار الى مقاصد الحفلة والداعي اليها ثم قال : « ان اجتمع الدمشقيون في هذه الردهة التي اشتهرت بتعظيم النوابغ والتنويه بالنبوغ فانما كان اجتماعهم اليوم لتكريم مصر . وناهيكم بفضل مصر على كل مصر . واذا اغتبطوا بان قاموا بواجب عليهم فسرّ اغتباطهم انهم رأوا طلعة عزيز على مجتمعهم افضل عليه بأدبه اي افضال واظهر الشعر في غير مظهره الذي كان له في القرون الاخيرة . ولا عجب فان احمد شوقي في شعراء القرن الرابع عشر كسميه ابي الطيب احمد بن الحسين المتنبي في القرن الرابع مع مراعاة ما بين العصرين من الفوارق » ثم قارن بين الشاعرين من جهة انهما رزقا السعادة في شعرهما لكنه خالف بينهما من جهة خلة (الوفاء) إزاء ممدوحيهما. فان « عميد الشعر في هذا العصر وفى لمخدومه في حالتي الاقبال والادبار ولذّ له في هذا السبيل من ابواب المروءة كل عناء » .

ثم نهض الاستاذ السيد شفيق جبري فالقى قصيدة جمعت بين عذوبة الالفاظ وجمال المعاني وقد قال في مطلعها :

حنت الى بردى فحي رجالها   الله مكن في العيون مثالها
تلك الاواصر لم تزل معقولة   من عهد عمرو من يحل عقالها ؟

الى ان قال مخاطباً المحتفل به :

غنّ الديار وقد نزلت بآلها فعسى القوافي ان تذكر آلها
للشعر آيات اذا غنى بها أهل الحمى فعلت بهم افعالها

ومنها :

القت اليك العبقرية سرها وحنت عليك وجررت اذيالها
لله شعرك في القلوب فانه بلغ القلوب فهزها وأمالها
ملكت يراعتك البيان وقصرت عنها يراع ما تصول حيالها
فصقلت حاشية القريض ولم تكن متكلفاً تدابيجها وصقالها
شوقي امير الشعر غير مدافع غرر القريض خلت له وخلا لها
واذا الجزيرة صدرت شعراءها كانوا عيالاً وهو بذ عيالها

وبعده انبرى الاستاذ السيد فارس الخوري فالقى خطبة غاية في الحسن والفائدة استهلها بوصف الآثار التي يتركها السلف للخلف فمنها الصوامت وهي المعالم المادية ومنها النواطق وهي ما تركه العلماء والشعراء من المآثر والآثار وفضل الثانية على الاولى ثم ذكر علائق القطرين فقال : (في ما عدا الجنس واللغة وهما امتن الروابط القومية قد أئتلف القطران بالنظام الاداري امداً طويلاً وها ان الشريعة الاسلامية الغراء ما زالت منذ ثلاثة عشر قرناً مسيطرة على تسديد المعاملات وتنظيم الشرائع في مصر وسورية على نمط يكاد يكون واحداً ولا يجهل العارفون ان وحدة التشريع تنشئ الاقوام على وحدة المبادئ والعادات وتقرب المتباعدين فكيف بها بين قطرين شقيقين وقومين متحدين في عنصرهما ولسانهما) . ومن كلماته الجميلة في المحتفل به قوله :

(ربما كانت هذه المرة هي الأولى التي يزور بها شاعر العرب مدينة دمشق بيد ان قصائده الرائعة ما زالت منذ امد بعيد تفتح قلوب السوريين وتعد له فيها منازل الاكرام والاعجاب . كل بيت من شعره بنى له في القلوب بيوتاً عامرة ينزل بها على الرحب والاعزاز . فلا جبال سينا التي تعاصى بلوغها على موسى الكليم ولا البحر الفاصل الذي صد فرعون وجنوده عن اللحاق بابناء ابراهيم — كانت قادرة على ايقاف سيل الشعر

العذب الذي يرسله اميرالشعر الموجة تلو الموجة فيثب فوق الجبال ويخوض لجج البحار وينتهي الى القلوب المكتئبة فينعشها والى المهج الظامئة فيرويها) .

وتلاه السيد تيسير ظبيان فناب عن الاستاذ السيد خليل مردم في القاء قصيدته التي جاءت جيدة السبك محكمة النسج والحبك افتتحها بقوله :

برزت بزينتها اليك الشام   وافتر بشراً ثغرها البسام
فتجاوب الاطيار بين رياضها   منها عليك تحية وسلام

ووصف شعر المحتفل به فقال :

واشتد اسر الشعر فيك وطالما   كانت تساور جسمه الاسقام
تبني من الابيات كل ممرد   من شأنه التشييد والاحكام
في كل بيت غادة تنويلها   ووصالها الا عليك حرام

واشار الى مجد الشام القديم فقال :

قد كان للمجد الموطد ركنه   من قاسيون ذروة وسنام
قم واستلم دور الخلافة انها   امسى لها بيد الردى استسلام
طف في زواياها وعظم شأنها   من شأنها التعظيم والاكرام
ماذا دهى الخضراء صوح غصنها   وعلا محياها الوسيم قتام
فكأنها لم يأتلق في افقها   عمر الخليفة والامام هشام
اعزز على الخلفاء ذل بلادهم   ولو انهم تحت التراب رمام

ولم يكد السيد تيسير يتم انشاد هذه القصيدة حتى تطالت الاعناق الى المحتفل به (احمد شوقي) واستماع قصيدته فقام السيد نجيب الريس وانشدها بالنيابة عنه وها هي بنصها الشائق :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا   مشت على الرسم احداث وازمان
هذا[1] الاديم كتاب لا كفاء[2] له   رث الصحائف باق منه عنوان
الدين والوحي والاخلاق طائفة   منه وسائره دنيا وبهتان

---

(١) الاشارة الى أديم الارض كلها لا لأديم جلق وحدها . (٢) اي لا نظير له ولا مثيل .

ما فيه ان قلبت يوماً جواهره — الا قرائح من رادٍ [1] واذهان
بنو أُمية للانباء ما فتحوا — وللاحاديث ما سادوا وما دانوا
كانوا ملوكاً سرير الشرق تحتهم — فهل سألت سرير الغرب ما كانوا؟
عالين كالشمس في اطراف دولتها — في كل ناحية ملك وسلطان
يا ويح قلبي! أمها انتاب ارسمهم — سري به الهم او عادته اشجان
بالامس قمت على ازهراء اندبهم — واليوم دمعي على الفيحاء هتان
في الارض منهم سماوات والوية — ونيرات وانواء وعقبان
معادن العز قد مال الرغام [2] بهم — لو هان في تربه الابريز ما هانوا
لولا دمشق لما كانت طليطلة — ولا زهت ببني العباس بغدان [3]
مررت بالمسجد المحزون اسأله — هل في المصلى او المحراب مروان
تغير المسجد المحزون واختلفت [4] — على المنابر احرار وعبدان
فلا الاذان اذان في منارته — اذا تعالى ولا الآذان آذان

* * *

آمنت بالله واستثنيت جنته — دمشق روح وجنات وريحان
قال الرفاق وقد هبت خمائلها — الارض دار لها الفيحاء بستان
جرى وصفق يلقانا بها بردى — كما تلقاك دون الخلد رضوان
دخلتها وحواشيها زمردة — والشمس فوق لجين الماء عقيان
والحور في (دمر) او حول هامتها — حور كواشف عن ساق وولدان
و(ربوة) الواد في جلباب راقصة — الساق كاسية والنحر عريان
والطير يصدح من خلف العيون بها — وللعيون كما للطير الحان
واقبلت بالنبات الارض مختلفاً — افوافه [5] فهو اصباغ والوان
وقد صفا بردى للريح فابتردت — لدى ستور حواشيهن افنان

(١) عنصر الراديوم العجيب . (٢) الرغام التراب . (٣) بغدان لغة في بغداد .
(٤) اي تناوبت . (٥) افوافه ترابينه .

ثم انثنت لم يزل عنها البلال ولا   جفت من الماء اذيال واردان

* * *

خلفت لبنان جنات النعيم وما   نبئت ان طريق الخلد لبنان
حتى انحدرت الى فيحاء وارفة   فيها الندى وبها طي وشيبان
نزلت فيها بفتيان جحاجحة   آباؤهم في شباب الدهر غسان
بيض الأسرة باق فيهم صيد[1]   من عبد شمس وان لم تبق تيجان

* * *

يا فتية الشام شكراً لا انقضاء له   لو ان احسانكم يجزيه شكران
ما فوق راحاتكم يوم السماح يد   ولا كأوطانكم في البشر اوطان
خميلة الله وشتها يداكم   فهل لها قيم منكم وجنان
شيدوا لها الملك وابنوا ركن دولتها   فالملك غرس وتجديد وبنيان
لو يرجع الدهر مفقوداً له خطر   لآب بالواحد المبكي ثكلان
الملك ان تعملوا ما اسطعتم عملاً   وان يبين على الاعمال اتقان
الملك ان تخرج الاموال ناشطة   لمطلب فيه اصلاح وعمران
الملك تحت لسان حوله ادب   وتحت عقل على جنبيه عرفان
الملك ان تتلاقوا في هوى وطن   تفرقت فيه اجناس واديان

* * *

نصيحة ملؤها الاخلاص صادقة   والنصح خالصه دين وايمان
الشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة   او حكمة فهو تقطيع واوزان
ونحن في الشرق والفصحى[2] بنو رحم   ونحن في الجرح والآلام اخوان

---

(١) عزة وفخر . (٢) اي واللغة العربية الفصحى .

مطبوعات حديثة

حاضر العالم الاسلامي

تأليف السيد لوثروب ستودارد الامريكي نقله الى العربية السيد عجاج نويهض وعلق عليه حواشي الامير شكيب ارسلان طبع في مصر سنة ١٣٤٣ بالمطبعة السلفية في مجلدين دخلا في ٨٥٣ صفحة

مؤلف هذا الكتاب من استبطنوا اسرار المدنية الاسلامية واحسنوا الظن كل الاحسان بالعرب ومدنيتهم ، تكلم في كتابه هذا بذوق وفهم وخلو غرض خلافاً لاكثر من يخوضون هذه الموضوعات من الغربيين فانهم ينظرون فيها الى مايوافق رغائب دولهم ومطالب اممهم و يدرسون درساً حفيفاً لا تحري فيه فتضيع الحقيقة على الاكثر فيما تخطه انامله و يسودون به صفحاتهم وقد تكون النعرة الدينية حاكمة عليهم . وقد اجاد ناقل هذا السفر في تعريبه حتى لا تكاد تشعر بانك تقرأ كتاباً معرباً ، بل كلاماً كتب مباشرة ببيان جميل استوفى حظه من الديباجة العربية ، والكتاب مفيد جداً في بابه ، وافيد منه تلك الحواشي المستفيضة التي وضعها في دقائق احوال الامم الاسلامية وتطورها الحديث العلامة المحقق الامير شكيب ارسلان ، ومن اكثر منه وقوفاً على احوال السياسة الحاضرة والغابرة في هذه الامة العربية ، فقد افاض في الكلام على مسلمي الصين ونهضتهم ومسلمي الجاوى وما جاورها ومسلمي الروسية والاسلام والجنود السوداء والاسلام في افريقية والصراع بين الاسلام والنصرانية . وكتب مقالات ممتعة في السودان والعرب في الكونغو وعلى سلطنة رابح ومملكة واداي ودارفور و باقيرمي و بورنو وغيرها من ممالك اواسط افريقية كما توسع في ذكر شرقي افريقية ومسلمي الحبشة ومداغسكر وبيان تاريخ الممالك الاسلامية الهندية وتعرض لذكر المعتزلة والوهابية وشرح مذهبها ولذكر الخوارج والبابية والبكطاشية ، وألمّ بالمبادئ الاشتراكية في الاسلام وتوسع في بيان اعمال انور باشا ورفقائه من الاتحاديين العثمانيين ، وترجم لكثير من زعماء النهضة الاسلامية في العلم والسياسة مثل السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده والامير محمد بن عبد الكريم زعيم الريف

والشيخ شامل الطاغستاني والامير عبد القادر الجزائري الى غيرهم من المشاهير . كل ذلك بتدقيق لا يصدر مثله الا من قلم الامير شكيب ومن افراد قلائل جداً في مجموع الامة ، معتمداً فيه على مصادر عربية وافرنجية وعلى اختباراته واخباره الخاصة ، ومن خاض مثله الى الركب في معمعان السياسة مدة اربعين سنة كان جديراً بان يملي كل نافع ممتع ، ومن رزق الاجادة في البيان اجادة صديقنا الامير يجيء وعلى كلامه مسحة من بيان اقدم البلغاء ، وعبقة من الروح العربية الشريفة . ولقد تجاوزت الحواشي التي كتبها الامير شكيب حجم الكتاب الاصلي وهي تصلح ان تكون سفراً برأسه يرجع اليه كل حين ، و يجد فيه كل مسلم او باحث في احوال المسلمين والاسلام خير مصدر يستقي منه و يهتدي بهديه وادبه ؛ ولا نغالي اذا قلنا ان كتاب حاضر العالم الاسلامي من اجل الكتب النافعة التي زينت القماطر العربية في عهدنا الاخير .

محمد كرد علي

الميسر والقداح

لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

علق عليه ووضع فهارسه السيد محب الدين الخطيب نقلاً عن المثال الفطوغرافي المحفوظ في الخزانة الزكية بالقاهرة وطبع في المطبعة السلفية سنة ١٣٤٣ (ص١٧٣)

ابن قتيبة عالم السنة وثاني الجاحظ ، وتآليفه متعة الانفس ومعلمة كل طالب ، وقد طبع حتى الآن بضعة كتب من تآليفه منها « ادب الكاتب » و « تأويل مختلف الحديث » و « عيون الاخبار » و « المعارف » . ونسب اليه « الامامة والسياسة » واكثر المحققين على انه ليس من تأليفه . ونشر له في المجلد الثاني من مجلة المقتبس اكثر كتاب الاشربة وتفضيل العرب في الرد على الشعوبية في المجلد الرابع ، أضفنا هذا الى رسائل البلغاء في طبعتها الثانية . وقد احسن الآن صديقنا الاستاذ المحقق منشئ مجلة الزهراء الغراء في القاهرة بنشر هذا الكتاب من تأليفه ، وعلق عليه تعليقات تفسر غامضه ، وتثبت الصحيح من مختلف رواياته ، دل على علو كعبه في التحقيق وبعد غوره في اللغة والادب . والكتاب وان كان اشبه بباب الرقيق في الفقه يتلى اليوم للاطلاع

فقط ، الا انه مما يشفع فيه كونه من قلم ابن قتيبة ، وعلماء الادب حريصون على نشر كل سطر يؤثر عن عظيم من عظمائهم فما الحال بما يؤثر عن ابن قتيبة . فالشكر لناشره الذي يعد في جملة من يسدون بما ينشرون ايادي بيضاء على الآداب العربية .

محمد كرد علي

نهضة اليابان

وتأثير روح الأُمة في النهضة

تأليف « العقيد » السيد طه الهاشمي طبع في مطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٣٤٣ — ١٩٢٥ (ص ١٩٦)

مؤلف هذا الكتاب بغدادي يعد من الممتازين بعلمهم بين رجال الشورى العسكري في الدولة العثمانية وقد جوّد تصنيفه فذكر آراء بعض علماء الاجتماع في حياة الامم والنهضة العربية واسباب ارتقائها وتدليها والنهضة الروسية وتأثيرات المصلحين من الروسيين ولا سيما بطرس الاكبر ونهضة اليابان وما طرأ عليها حتى ادهشت العالم الى غير ذلك من الفوائد التاريخية والاجتماعية التي يستفيد منها كل مطالع خصوصاً في الامم العربية التي هي في بدء نهوضها فنثني على عناية المؤلف ونرجو ان يظلّ على متابعة اعماله العلمية النافعة في نشوء هذه الامة وارتقائها .

م . ك

مبادي الاقتصاد السياسي

تأليف الاستاذ شارل جيد تعريب الاستاذ السيد توفيق السويدي . الجزء الاول طبع بمطبعة دار السلام ببغداد سنة ١٣٤٣ — ١٩٢٤ «ص ٦٤٩»

شارل جيد احد ائمة الاقتصاد السياسي في فرنسا وكتبه معروفة مشهورة وقد احسن صديقنا الاستاذ السيد توفيق السويدي في تعريبه هذا السفر النفيس تعريباً جميلاً قربه من اذهان الدارسين لهذا العلم المفيد وقد ذكر المترجم انه اعترضته خلال الترجمة صعوبات جمة لا يعرف مقدارها الا من عانى صناعة الترجمة او التأليف في الفنون التي يشتغل بها اسلافنا ولم تنضجها اقلام المعاصرين من ابناء لغتنا . ولكن